مباحث في العقيدة

رؤية الله - الإسلام والإيمان - القرآن كلام الله
القضاء والقدر - الإيمان بالرسل والكتب والملائكة

الأستاذ الدكتور
عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار
الأستاذ بجامعة القصيم
والمتعاون مع كلية التربية للبنات بمحافظة الزلفي

الجزء الثاني

مكتبة الرشد

مباحث في العقيدة

رؤية الله - الإسلام والإيمان - القرآن كلام الله
القضاء والقدر - الإيمان بالرسل والكتب والملائكة

الجزء الثاني

تأليف
أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
الأستاذ بجامعة القصيم
والمتعاون مع كلية التربية للبنات بمحافظة الزلفي

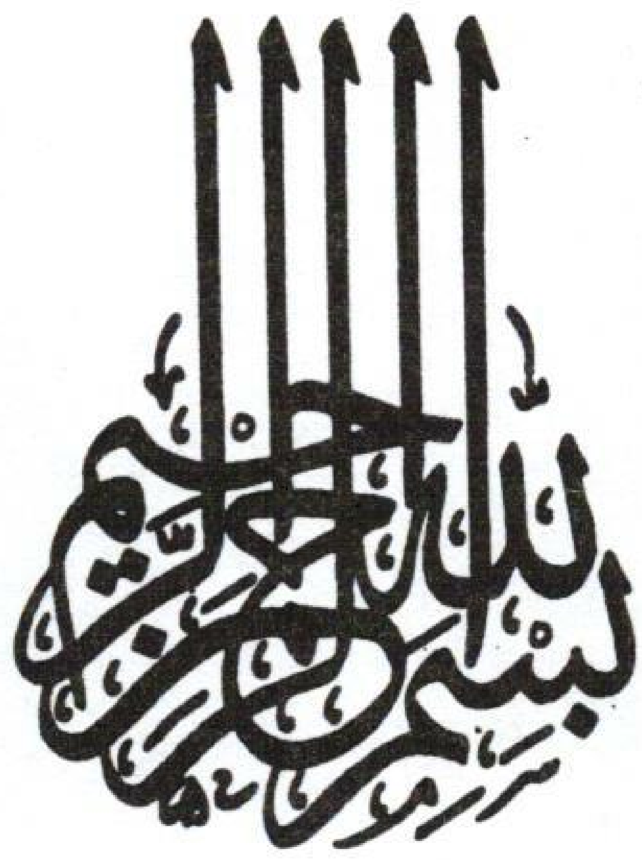
مكتبة الرشد
ناشرون

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



مكتبة الرشد - ناشرون
المملكة العربية السعودية - الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١
E-mail: alrushd@alrushdryh.com
Website: www.rushd.com



المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد:

فإن توضيح العقيدة الصحيحة وبيانها وتجلية أمرها والدعوة إليها هو أهم المهمات وأعظم الواجبات لأنها الأساس الذي تبنى عليه أعمال الناس فلا تصح ولا تقبل إلا إذا كانت مبنية على معتقد صحيح سليم خال من الشوائب والمكدرات وهذا ما كان عليه رسل الله جميعا - صلوات الله وسلامه عليهم- وكذلك أتباعهم بإحسان وهذا ما دعا إليه وأكد عليه خاتم الرسل محمد ﷺ وكذا تابعوه إلى يومنا هذا فقد أكدوا على إصلاح العقيدة والبعد عن كل ما يناقضها وهذا هو مسلك القرآن الكريم الذي جاءت معظم سوره تؤكد على هذه العقيدة وتبين معالمها وقد تنزل هذا الكتاب العظيم طيلة العهد المكي على رسولنا ﷺ يدعو إلى التوحيد وإصلاح العقيدة وبيان ما يضادها من جميع الجوانب.

إن العقيدة الإسلامية هي التي بعث الله من أجلها رسله وأنزل بها كتبه ولا يقبل من أحد عملا إلا بها كما أخبر عن ذلك ربنا - جل وعلا- بقوله (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن

يُطْعِمُونِ)[1] وقال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2].

ومتى تمسك المسلم بهذه العقيدة الصحيحة فقد عصم دمه وماله في الدنيا كما أخبر عن ذلك رسولنا ﷺ بقوله {أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها}[3].

ومن تمسك بها فإنها تنجيه يوم القيامة من عذاب الله كما جاء في الحديث {من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار}[4].

وهذه العقيدة الصحيحة هي سبب قبول الأعمال ومغفرة الذنوب قال الله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[5].

أما أصحاب المعتقد الفاسد فعملهم حابط باطل كما أخبر ربنا –جل وعلا- ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) سورة الذاريات، الآية:٥٦، ٥٧

(٢) سورة النحل، الآية:٣٦

(٣) رواه البخاري (١/ ٧٠)، مسلم برقم (٢٢)

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٩٣) باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.

(٥) سورة النحل، الآية:٩٧

ﭐﻟۡﺨَٰﺴِﺮِﻳﻦَ ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [2]

هذه الأمور وغيرها جعلت أمر العقيدة ذا أهمية قصوى فوجب تعلمها وتعليمها ولذا اهتم بها أهل العلم سلفا وخلفا بينوا أصولها ووضحوا مسائلها وركزوا على ما يناقضها.

وإن التعليم في بلادنا الغالية -المملكة العربية السعودية- يتميز على غيره بالاهتمام بالعقيدة والتركيز عليها في مختلف مراحل الدراسة للبنين والبنات. ولقد شرفتني كلية التربية للبنات في محافظة الزلفي بتدريس مادة العقيدة في سنوات الكلية وأخبروني أن المقرر على الطالبات (شرح الطحاوية) ولما كان هذا الكتاب يصعب فهمه على كثير من الطالبات استخرت الله في تيسير بعض مباحثه وعرضها بأسلوب سهل وألقيت ذلك على الطالبات خلال عامي (١٤٢٣، ١٤٢٤هـ).

وكانت مجموعة منهن يكتبن هذه المحاضرات وقد اطلع عليها بعض أعضاء هيئة التدريس من الرجال والنساء الذين يدرسون هذه المادة في كليات مماثلة ورغبوا في طباعتها وألح علي مندوب مكتبة الرشد وذكر لي حاجة الطالبات لذلك وهاتفني أكثر من مرة ملحا على سرعة إنجازها وهنا استخرت الله وعزمت على إخراجها بعد أن أعدت النظر فيها وأضفت لها بعض الإضافات اليسيرة فما كان فيها من صواب فمن الله

---

(١) سورة الزمر، الآية:٦٥

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة وأسأل الله أن ينفع بها كاتبها والمطلع عليها كما أسأله أن يبارك في جهود المخلصين الصادقين وإني بهذه المناسبة أزجي خالص شكري وتقديري للمسئولين عن كلية التربية للبنات في محافظة الزلفي عميدة ووكيلة ورئيسات أقسام وكذا مسئولين عن إدارة تعليم البنات بالمحافظة على جهودهم المباركة كما أسأله أن يوفقنا جميعا لخيري الدنيا والآخرة وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتب

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

١٤٢٥/٨/١هـ

المبحث الأول

مبحث الرؤية

أولا : رؤية الله في الدنيا وإجماع السلف على عدم وقوعها مع ذكر الأدلة.

ثانيا: رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ واختلاف الناس فيها.

ثالثا: ذكر بعض المسائل المتعلقة برؤية النبي ﷺ لربه ﷻ .

رابعا: رؤية الله تعالى يوم القيامة.

خامسا: رؤية الله في المحشر وأجناس الناس في الرؤية:

(١) جنس المؤمنين

(٢) الكفار الخلص

(٣) المنافقون

سادسا: رؤية المؤمنين لربهم في الجنة مع ذكر الأدلة على ذلك.

سابعا : أدلة نفاة رؤية المؤمنين لربهم في الجنة مع ذكر الرد عليهم.

أولا
في رؤية الله في الدنيا

اتفقت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا بعينه ولم ينازعوا في ذلك إلا ما شذ في هذه المسالة عن بعض غلاة الصوفية أو المشبهة فقد زعموا أنه يجوز رؤية الله في دار الدنيا وأنه يزورهم ويزورونه[1].

والمنقول عن الأشعري في هذه المسألة قولان:

قال النووي -رحمه الله-:«أما رؤية الله في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري أحدهما وقوعها والثاني لا تقع».

قلت: ومما يجب التنبيه عليه أن هناك فرقا بين القول بإمكانية الوقوع وبين حصول الوقوع ، فإمكانية الوقوع لا تعني حصوله ولهذا قال صاحب الطحاوية.

«وهذا القول الذي قاله القاضي عياض -رحمه الله- هو الحق فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام»[2].

---

(١) انظر في ذلك الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٥)
(٢) الطحاوية (١/ ٢٢٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في رده على من زعم رؤية الله في الدنيا «من قال من الناس أن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى فإن هؤلاء يستتابون، فإن تابوا و إلا قتلوا والله أعلم»[(١)].

وقال أيضا رحمه الله : «وقد ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له (لن تراني) وأن رؤية الله أعظم من إنزال كتاب من السماء فمن قال أن أحدا من الناس يراه فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتابا من السماء»[(٢)].

ومن هنا يتبين لنا إجماع السلف على أن الله لم يره أحد بعينه في دار الدنيا حتى موسى ﷺ ، وإنما وقع الخلاف في رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/٥١٢)
(٢) مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/٩٩،١٠٠)

ثانيا:
ذكر الأدلة على نفي رؤية الله تعالى في الدنيا

قبل أن نتعرض لذكر الأدلة على ذلك نحب أن ننبه على أن هذه الأدلة هي نفس ما استدل به المخالفون لأهل السنة على أن الله تعالى لا يرى في الآخرة كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ولكننا هنا سنذكر طرفا من الأدلة فقط مع ذكر أقوال السلف في بيانها.

أولا: أدلة الكتاب

الدليل الأول: قال الله تعالى مخبرا عن موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ...﴾ [الأعراف١٤٣].

وجه الدلالة من الآية أن الله تعالى حينما طلب موسى ﷺ رؤيته أجابه الله تعالى بقوله (لن تراني) و «لن» تقتضي النفي المؤبد.

لكن هل هذا النفي المؤبد للرؤية في الدنيا والآخرة؟ نقول لا بل النفي المؤبد هنا في الدنيا فقط لأن النصوص جاءت بثبوت الرؤية في الآخرة.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «وقيل إنها لنفي التأبيد في الدنيا جمعا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة»[1].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٢٤٤)

الدليل الثاني: قوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الأنعام١٠٣] .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-: « ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لعظمته وجلاله وكماله، أي لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه في الآخرة وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم» [١] .

قلت: فمعنى الآية أنه ﷻ لا يدركه أهل الدنيا قبل الممات أما في الآخرة فأدلة رؤيته واضحة كما سنبين ذلك إن شاء الله.

الدليل الثالث: قول الله ﷻ ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى٥١].

وجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى حصر تكليم البشر في الدنيا في الوحي إلى الرسل، أو تكليمه لهم من غير وساطة لكن من وراء حجاب، أو بإرسال الرسل وهم الملائكة إلى الأنبياء، وإذا كان الأنبياء والرسل لا يحصل لهم رؤية الله تعالى في الدنيا بأبصارهم وهم أكرم البشر على الله بلا شك فمن باب أولى عدم حصولها لغيرهم [٢].

الدليل الرابع: قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[البقرة٥٥] وقال أيضا ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ

(١) تفسير الكريم الرحمن (٢/ ٤٤٧)
(٢) انظر تفسير هذه الآية في تفسير أحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٣٥)

ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴾ [النساء١٥٣].

وجه الدلالة من الآيتين : أن الله تعالى أخذ من طلب رؤيته من بني إسرائيل بالصاعقة وما ذلك إلا لبيان شدة الإنكار على من طلبها ولهذا قال نبي الله موسى ﷺ بعد أن أفاق من شدة ما رأى من تحرك الجبل بعد أن طلب رؤية الرب سبحانه قال ﴿سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء١٥٣] ، فهذا هو حال موسى حينما طلب رؤية الرب ﷻ فكيف يكون حال غيره.

ثانيا: أدلة السنة :

الدليل الأول: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: {إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه نور} وفي رواية {لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه}[1].

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن الحديث فيه نص صريح على أن لله تعالى حجابا هو النور وهذا النور حاجب له تعالى مانع من الرؤية فهو قاهر للبصر وقد رأى النبي ﷺ هذا الحجاب ليلة إسرائه لربه تعالى حين سأله عن رؤية ربه سبحانه قال رأيت نورا.

الدليل الثاني: حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه حيث قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: {إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته}[2].

(١) صحيح مسلم (١٧٩) كتاب الإيمان – باب قوله ﷺ {إن الله لا ينام}.
(٢) صحيح البخاري (٤/ ٢٠٠)

وجه الدلالة من الحديث: أن النبي ﷺ حدد رؤية الرب ﷻ بيوم القيامة ولو كانت الرؤية جائزة في الدنيا لما كان لهذا التحديد معنى.

وبهذا فهم الصحابة -رضوان الله عليهم- أي فهموا أن رؤية الرب ﷻ لا تكون إلا في يوم القيامة ولهذا لم يسألوه عن رؤياه سبحانه في الدنيا.

قال أبو هريرة ﷺ: «أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟»[(١)]

الدليل الثالث: قوله ﷺ {واعلموا أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت}[(٢)].

وجه الدلالة من الحديث أنه نص صريح في نفي رؤية الرب ﷻ في الدنيا وأنها لم تقع لأحد من الخلق.

ومن هنا نعلم أن الأدلة واضحة في عدم ثبوت رؤية الله تعالى في الدنيا لأحد من الخلق.

(١) سبق تخريجه ص ١٧ .
(٢) أخرجه مسلم -كتاب الفتن وأشراط الساعة- برقم (٢٢٤٥)

ثالثا :
رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ

ذكرنا فيما سبق أن سلف الأمة أجمعوا على أن الله ﷻ لا يرى في الدنيا لكن وقع الخلاف بين أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا، وهذا الخلاف نشأ منذ عهد الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–.

فاختلفوا في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن النبي ﷺ رأى ربه في الدنيا، وهذا القول هو المروي عن ابن عباس وأبي ذر وكعب ﷺ وبهذا القول قال الحسن وعكرمة وغيرهم ورواه عن الإمام أحمد –رحمه الله– بعض أصحابه.

استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

الدليل الأول: ما رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس –رضي الله عنهما–قال: قال رسول الله ﷺ {رأيت ربي تبارك وتعالى} (١).

الدليل الثاني : ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ في حديثه الطويل المذكور في ليلة إسراء رسول الله ﷺ وفيه {..... ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة ...} (٢) الحديث.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٨٥)، ومجمع الزوائد للهيثمي (١/ ٧٨)
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٧٠) وحسنه الترمذي

الدليل الثالث: حديث اختصام الملأ الأعلى وفيه قوله ﷺ {رأيت ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أي ربي أي ربي مرتين فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي ...} (١) الحديث.

الدليل الرابع: وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: {أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ} (٢).

الدليل الخامس: وعن عكرمة قال: «سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال: نعم، قال فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ قال: لا أم لك، ذلك نوره إذا تجلى نوره لم يدركه شيء» (٣).

وعن عياد بن منصور قال: «سألت الحسن فقلت ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ من ذا يا أبا سعيد؟ قال: ربي» (٤)

وعن المبارك بن فضالة قال: «كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد ﷺ ربه» (٥)

وعن كعب قال: «إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد –صلوات الله وسلامه عليهما– فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين» (٦).

---

(١) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (٥/ ٤٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٥٨١)
(٢) الغنية في مسألة الرؤية لابن حجر العسقلاني صـ٤٢
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق صـ٧٦ بتحقيق الدكتور محمد عبد المحسن التركي
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.

قلت: هذه جملة من أقوال السلف في إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ، وبهذه الأدلة استدل الإمام أحمد على ثبوت رؤية النبي ﷺ لربه.

قال النووي -رحمه الله-: «قال صاحب التحرير: والحجج وإن كانت كثيرة ولكننا لا نتمسك إلا بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- {أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والرؤية لمحمد ﷺ}[1] .... ثم ذكر الأدلة على ثبوت الرؤية .. إلى أن قال، الصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الرواية عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن والاجتهاد، ثم إن ابن عباس أثبت شيئا نفاه غيره والمثبت مقدم على المنفي»

وقال النووي: «فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعين رأسه ليلة الإسراء والمعراج لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه»[2].

القول الثاني: وهو قول من قال بعدم ثبوت رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ . وهذا القول هو قول عائشة -رضي الله عنها- وهو المشهور عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ﷺ وكذا المحدثين.

استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها[3]:

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٠ .
(٢) شرح مسلم للنووي (٥/٢)
(٣) مسلم - شرح النووي (٥/٣)

الدليل الأول: عن مسروق قال: «كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحد منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله ﷻ ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النجم : ٧] ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾[النجم ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: {إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض} فقالت: أولم تسمع أن الله يقول﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الأنعام١٠٣] أولم تسمع أن الله يقول ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى٥١] ..... »[(١)]

الدليل الثاني: عن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: {نور أنى أراه}[(٢)].

وجه الدلالة من هذا الحديث في قوله ﷺ {نور أنى أراه} والمعنى أن هناك نورا منعني من رؤيته يدل على الرواية الأخرى وقوله ﷺ فيها {رأيت نورا}[(٣)] فهذا النور الذي رآه ﷺ حال بينه وبين رؤية ربه ﷻ.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٥٩)
(٢) صحيح مسلم (١/ ١٦١)
(٣) صحيح مسلم (١/ ١٢)

وهناك أدلة أخرى أعرضنا عنها خشية الإطالة في هذا المبحث والخلاصة أن الذي يظهر عندي -والله أعلم- أن المرئي في آيتي النجم هو جبريل ﷺ وهو الذي يتفق مع السياق القرآني لا سيما تصريح أم المؤمنين -رضي الله عنها- في تفسيرها لذلك كما وضحنا آنفا وكما جاء مصرحا به عن أبي هريرة ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] قال رأى جبريل [١].

الراجح من القولين: إذا نظرنا إلى أدلة القولين فإن القول بأن النبي ﷺ لم ير ربه ﷻ بعين رأسه في الدنيا أقرب للصواب وأن ما استدل به المثبتون يمكن حمله على أنه ﷺ رأى ربه بقلبه جمعا بين الأدلة.

قال أبو ذر ﷺ «رآه بقلبه ولم يره بعينه» [٢] وقال إبراهيم التيمي «رآه بقلبه ولم يره ببصره» [٣].

قال النووي : «قال أبو الحسن الواحدي وعلى هذا رأى بقلبه رؤية صحيحة، وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين» [٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

«وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت

(١) صحيح مسلم (٦/١)
(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٢٠٨
(٣) المصدر السابق
(٤) شرح مسلم للنووي (٦/٣)

رؤيـة العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد. والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقـيدة بالفـؤاد تارة يقول رأى محمد ربه، وتارة يقول رأى محمد بفؤاده ولم يثبت عن ابن عـباس لفـظ صـريح بأنه رآه بعينه وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية وتارة يقوله رآه بفؤاده ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه...»[1].

قال القاضي عياض. «وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص والمعول فيه على آية النجم والتنازع فيها مأثور والاحتمال لها ممكن»[2]

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٩)، وانظر أيضا فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية (٢/ ١٢٨)
(٢) الطحاوية (٢٢٣-٢٢٤)

رابعا
ذكر بعض المسائل المتعلقة برؤية النبي ﷺ لربه ﷻ

المسألة الأولى:

إذا ثبتت رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ بقلبه فهل تثبت هذه الرؤية لغيره من المؤمنين؟

نقول: اتفق الصحابة والتابعون والأمة على جوازها للمؤمنين وأنه يحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها على قدر إيمان العبد، لأن من أحب شيئا تمثل في قلبه ووجده قريبا إليه، وإذا ذكره حضر في قلبه، قال النبي ﷺ لما سأله عن الإحسان: {أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك} (١).

وهذا هو المثل الأعلى الذي قال الله فيه ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (٢) فإنه سبحانه لا يماثله شيء أصلا ، فنفسه المقدسة لا يماثلها شيء من الموجودات، وصفاتها لا يماثلها شيء من الصفات، وما في القلوب من معرفته لا يماثله شيء من المعارف، فله المثل الأعلى كما أنه في نفسه الأعلى وهو يتنوع في القلوب بحسب المعرفة بالله والمحبة تنوعا لا ينحصر وليس الرب تعالى في نفسه هو كذلك (٣).

وخالف ما ذكرناه المعتزلة فمنهم من أثبت رؤية الرب ﷻ بالقلب ومنهم من أنكرها وهذه هي عادة المعتزلة في مخالفتهم لأهل السنة والجماعة.

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٠)، ومسلم (١/ ٣٧)
(٢) سورة النحل، الآية: ٦٠
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٢٤٩-٢٥١)

قلت: والرب ﷻ إن لم تعرفه القلوب وتحبه وتجله وتعظمه ذلت وخضعت لعظمته سبحانه بل كلما زادت معرفة القلوب بخالقها زادت في العبادة والطاعة له والانقياد لحكمه.

قال بعض السلف: «من كان لله أعرف كان له أخوف».

المسألة الثانية:

إذا ثبتت رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ في المنام فهل تثبت هذه الرؤية لغيره من المؤمنين؟

الجواب: نعم، يجوز لغيره ﷺ من المؤمنين رؤيته ﷻ ومخاطبته، وخالف في ذلك طائفة من المعتزلة وهذا أيضا مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها بل وما اتفق عليه عقلاء بني آدم.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- : «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه فإذا كان إيمانه صحيحا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق»[(١)].

وقال أيضا شيخ الإسلام رحمه الله:

«وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم وما أظن عاقلا ينكر ذلك فإن وجود ذلك ممكن لا يمكن دفعه، إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره وهذه مسألة معروفة، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين ..»[(٢)].

لكن هناك بعض الأمور التي يجب التنبه عليها:

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٩٠)

(٢) تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٧٣)

الأول : أننا إذا قلنا بثبوت رؤيا الرب تبارك وتعالى في المنام فإننا ننبه على أنه تبارك وتعالى ليس كما يراه النائم قال تعالى﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى١١]، فما يراه النائم هو صورة مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه ﷻ ، فإن كان إيمانه واعتقاده في ربه ﷻ مطابقا أتى من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك.

الأمر الثاني: أننا إذا قلنا بثبوت رؤيا الرب ﷻفي قلوبنا فإننا نحذر من التخييل والتوهم بعقولنا لكيفية هذا الرب ﷻ .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «وكل ما جاء في ذلك -يعني رؤيا الرب ﷻ- من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه» (١).

(١) شرح العقيدة الطحاوية - لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٠٧)

خامسا
رؤية الله تعالى يوم القيامة

يوم القيامة يوم عظيم وصفه الله تعالى بأوصاف عدة وبين ما سيكون في هذا اليوم العظيم، وإن مما أخبر الله تعالى عنه مما سيحدث فيه رؤيته ﷻ ، وهذه الرؤية تختلف باختلاف أجناس البشر، فالناس في يوم القيامة ليسوا على درجة واحدة بل هم على ثلاثة أجناس.

الجنس الأول: مؤمنون خلص ظاهرا وباطنا.
الجنس الثاني: كافرون خلص ظاهرا وباطنا.
الجنس الثالث: منافقون كافرون باطنا مؤمنون ظاهرا.

ويوم القيامة يبدأ بالمحشر على الله تعالى وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار.

سادسا
رؤية الناس لربهم في المحشر

اختلف أهل العلم في رؤية الناس لربهم في المحشر على ثلاثة أقوال وذلك حسب اختلاف أجناس الناس التي ذكرناها:

القول الأول : قالوا لا يراه إلا المؤمنون.

القول الثاني : قالوا يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

القول الثالث : يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار.

والخلاف نفسه في تكليمه لأهل الموقف. وسنذكر شيئا يسيرا هنا من أقوال أهل العلم في هذه المسألة أعني رؤية الناس لربهم في المحشر:

الجنس الأول: المؤمنون

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله في الواسطية:

«فصل: وقد دخل أيضا فيما ذكرنا من الإيمان بالله وبكتبه وبملائكته وبرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة ، يرونه سبحانه وهم في عرصات يوم القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى»[1].

فالمؤمنون كما ذكره شيخ الإسلام سيرون ربهم في موطنين:

---

(١) انظر في ذلك الواسطية وشرحها لشيخنا محمد الصالح العثيمين رحمه الله (٢/ ١٠١-١٠٣)

الموطن الأول : يرونه في عرصات يوم القيامة قبل دخولهم الجنة كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين١٥] فقوله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة.

المـوطن الثاني : وهو بعد دخولهم الجنة وهذا له مبحث خاص به كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

الجنس الثاني: الكفار الخلص

اختلفت أقوال أهل العلم في رؤية الكفار لربهم على ثلاثة أقوال:

أحدها : أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر له ولا المسر له وهذا قول أكثر العلمـاء المتأخـرين وعلـيه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثانـي : أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهـل الكـتاب وذلك في عرصة يوم القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا هو قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه ﷻ لهم في الموقف الحديث المشهور.

الثالث : أن الكفار يرون رؤية تعريف وتعذيب -كاللص إذا رأى السلطان- ثم يحتجب عـنهم لـيعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم و أصحابه وقول غيرهم [1].

---

(١) انظر كـلام الشـيخ ابـن تيمـية رحمـه الله ورسـالته إلى أهل البحرين في رؤية الكفار لربهم، مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٥-٥٠٦)

والذي يظهر لي -والله أعلم- أن الكفار لا يرون ربهم مطلقا لظهور الأدلة التي استدل بها القائلون بعدم الرؤية خصوصا قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين١٥] . وهذا هو قول شيخنا محمد الصالح العثيمين -رحمه الله- في شرحه للواسطية [١].

الجنس الثالث: المنافقون

مر بنا كلام شيخ الإسلام وذكره لأقسام الناس في رؤية الله تعالى وذكر قول أبي بكر بن خزيمة وغيره أن المنافقين سيرون ربهم ثم يحتجب عنهم فلا يرونه بعد ذلك، وبهذا القول قال شيخنا محمد الصالح العثيمين رحمه الله [٢].

---

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/١٠٣)
(٢) المرجع السابق (١/١٠٣)

سابعا
في ذكر الأدلة على ثبوت رؤية أهل الجنة لربهم ﷻ

قبل الشروع في ذكر الأدلة على ثبوت رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة وبيان أنها أعظم نعيم أهل الجنة نشير هنا إلى بعض الأمور:

الأمر الأول : أن أهل السنة والجماعة يرون ثبوت رؤية الله جل وعلا لأهل الجنة كما ذكرنا ذلك سابقا وقد قال بذلك الصحابة والتابعون وأهل الحديث وسائر العلماء المحققين في كل زمان ومكان.

الأمر الثاني : أن الذين نفوا الرؤية هم طوائف من المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية وغيرهم. وهؤلاء ليسوا من عداد أهل السنة والجماعة بل هم من أعظم الفرق مخالفة لأهل السنة والجماعة في العقائد والأحكام.

الأمر الثالث: أهمية مسألة الرؤية:

هذه المسألة من أشرف المسائل وهي من أمهات أصول الدين وهي غاية ما يسعى له المجتهدون والمشمرون ويتنافس فيها المتنافسون ولذلك أفردت هذه المسألة في مؤلفات كثيرة وذكرها أهل السنة في أصول الاعتقاد وذكروا الأدلة على ثبوتها ورموا من خالف فيها الكتاب والسنة بالضلال والابتداع هنا تكمن أهمية دراسة هذه المسألة.

الشروع في ذكر الأدلة على:

ثبوت رؤية أهل الجنة لربهم ﷻ في الجنة

أولا : أدلة الكتاب:

الدليل الأول: قال الله تعالى﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[القيامة٢٢-٢٣]
هذه الآية من أصرح الأدلة وأوضحها وأبينها في إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

من أوجه الاستدلال بالآية:

(١) أن الله أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محل النظر.

(٢) أن الله تعالى عدى النظر بـ إلى وهي صريحة في نظر العين.

(٣) أن الآية خلت من قرينة تصرف النظر إلى غير معناه وحقيقته وقد فسرها ابن عباس وعكرمة وغيرهما [١] بالنظر إلى وجه ربها .

وهذا جملة من أقوال السلف في تفسير هذه الآية:

عن الحسن في قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق» [٢] .

قال ابن كثير في تفسيرها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ من المناضرة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أي تراه عيانا كما رواه البخاري في صحيحه {أنكم سترون ربكم عيانا} أي معاينة ينظرون إليه» [٣].

---

(١) انظر في ذلك شرح الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٠٨)
(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ١٢٩-١٩٣)
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٤)

وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنها: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها ﷻ، وقال عكرمة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظرا. ثم حكي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– مثله. وهذا قول كل مفسري أهل السنة والحديث [(١)].

الدليل الثاني: قول الله تعالى ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق٣٥].

قال الطبري «قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك –رضي الله عنهما في تفسيرها: هو النظر إلى وجه الله ﷻ [(٢)].

الدليل الثالث: قول الله تعالى ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس٢٦] فالحسنى هنا الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده.

ففي صحيح مسلم عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: {إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة}[(٣)].

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢١٠)
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢١٠)
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ (١٨١)

وبهذا التفسير فسرها الصحابة -رضوان الله عليهم- جميعا فإنهم لم يكونوا يعدلون عن تفسير النبي ﷺ لها إلى أحد غيره.

الدليل الرابع: قول الله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين١٥].

قال أهل العلم ومنهم الإمام الشافعي وغيره: «لما أن الله حجب هؤلاء حال السخط عليهم كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه حال رضاه عنهم»[1].

قال مقاتل في تفسير الآية :«معنى الآية أنهم بعد العرض والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون يرون ربهم».

وقال الكلبي :«يقول إنهم عن النظر إلى رؤية ربهم لمحجوبون والمؤمن لا يحجب عن رؤية ربه»[2].

ثانيا: أدلة السنة

أما أدلة السنة في رؤية المؤمنين لربهم -تبارك وتعالى- في الآخرة فهي كثيرة جدا وقد تواترت عن رسول الله ﷺ وتلقى أتباعه من الصحابة وسلف الأمة هذه النصوص بكل قبول وارتياح وكلهم يرجوه ويدعوه ويسأله أن يكون ممن يراه في جنات عدن يوم يلقاه.

فمن الأدلة التي جاءت في ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الجنة:

(١) انظر في ذلك الطحاوية (١/ ٢١٢)
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٥)

الدليل الأول: حديث أبي هريرة ﷺ أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: {هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك} (١) .

الدليل الثاني: حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: {إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا} (٢).

الدليل الثالث: حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: {جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن} (٣) .

الدليل الرابع: حديث عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث إليك رسولا فبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى يا رب} (٤).

---

(١) رواه البخاري ح (٤٧٣٧)، مسلم ح (١٨٢)
(٢) رواه البخاري ح (٧٤٣٤)
(٣) صحيح مسلم – شرح النووي (٣/ ١٤-١٥)
(٤) أخرجه البخاري برقم (١٤١٣) (٣٥٩٥)، ومسلم برقم (١٠١٦)

الدليل الخامس: وهو من أصرحها وضوحا في ثبوت الرؤية ما رواه مسلم عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله ﷻ: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ}[1].

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيا ومن أحاط معرفة بسنة رسول الله ﷺ يقطع بأنه ﷺ قالها.

قال شارح الطحاوية: «ومن أراد الوقوف على أحاديث الرؤية فليواظب سماع الأحاديث النبوية فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق...»[2].

(١) سبق تخريجه ص ٣٧ .
(٢) شرح الطحاوية –لابن العز الحنفي (١/٢١٨)

ثامنا
أدلة نفاة الرؤية والرد عليهم

نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة ومن سار على مسلكهم من الخوارج والروافض وغيرهم يعترضون على أدلة أهل السنة بأدلة باطلة وحجج واهية، وسنذكر طرفا مما استدل به هؤلاء مع مناقشة هذه الأدلة والرد عليهم.

الدليل الأول : استدل النفاة بقوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وجه الدلالة عندهم من الآية: أن الله تعالى نفى أن يدرك بالأبصار وما دام الإدراك قد قرن بالبصر فإنه يفيد عدم الرؤية بالبصر وعليه يكون قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ بمعنى لا تراه الأبصار فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك الأبصار [١].

الرد على هذه الشبهة:

أن الآية تدل على ثبوت الرؤية من وجه حسن لطيف وهو أن الله - جل وعلا- ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح في الصفات الثبوتية وليس في الصفات العدمية إلا إذا تضمن ذلك إثباتا للكمال كنفي السنة والنوم ونفي اللغوب والإعياء وهكذا نفي الشريك والولد ونفي الأكل والشرب لأن هذا كله يتضمن إثبات صفات كمال لله - جل وعلا- تخالف صفات البشر.

فلو كان المراد من قوله ﴿تُدْرِكُهُ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب ﷻ يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض.

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٣٢)

إذا فمعنى الآية أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية [1].

فخلاصة الرد عليهم في هذه الآية: أن الآية فيها نفي الإدراك، والرؤية لا تستلزم الإدراك ألا ترى أن الرجل يرى الشمس ولا يحيط بها إدراكا، فإذا أثبتنا أن الله تعالى يرى لم يلزم أن يكون يدرك بهذه الرؤية، لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية، ونفيه -أي الإدراك- يدل على وجود أصل الرؤية لأن نفي الأخص يدل على وجود الأعم ولو كان الأعم منتفيا لوجب نفيه [2].

الدليل الثاني: ومن أدلة النفاة للرؤية أيضا قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ....﴾ [الأعراف ١٤٣].

وجه الاستدلال عندهم: أن «لن» تفيد التأبيد وأن موسى ﷺ لما أفاق قال سبحانك أي أنزهك عما لا يجوز عليك وأنه تاب مما وقع منه وهو طلب الرؤية [3].

الرد على هذا الاستدلال:

أجاب أهل السنة في ردهم على ما استدل به النفاة في هذه الآية من عدة وجوه وأثبتوا أن الآية دليل على ثبوت رؤية الله -جل وعلا- في الجنة، وأجابوا على استدلال النفاة بها من عدة وجوه:

الوجه الأول: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله موسى -عليه الصلاة والسلام- وهو أعلم الناس بربه -جل وعلا- في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه بل هذا من أعظم المحال.

---

(١) انظر حادي الأرواح لابن القيم (ص٢٠١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢١٤-٢١٥)

(٢) شرح الواسطية - للشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله (١/ ٤٥٧)

(٣) تفسير الرازي (١٤/ ٢٣٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ١١٥)

الوجه الثاني : أن الله لم ينكر على نبيه موسى -عليه الصلاة والسلام- سؤاله ولو كان ذلك غير ممكن لأنكر سبحانه عليه كما أنكر على نوح -عليه الصلاة والسلام- سؤاله لربه وطلبه نجاة ابنه فقال ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [هود ، ٤٦] .

الوجه الثالث: أن الله تعالى قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل إني لا أرى ولا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي والفرق بين الجوابين ظاهر.

الوجه الرابع: قال تعالى ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ [الأعراف١٤٣] . فاعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف.

أن الله تعالى تجلى للجبل وهو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله و أوليائه في دار كرامته ولكن الله أعلم موسى -عليه الصلاة والسلام- أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر الذي خلق من ضعف من باب الأولى.

الوجه السادس: أن الله -جل وعلا- كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكليم والتكلم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمع بينهما بعض المبتدعة فنفوا الرؤية ونفوا الكلام.

الوجه السابع: دعواهم أن «لن» تفيد التأبيد أي أنه لا يرى مطلقا في الدنيا ولا في الآخرة، فهذا الدعوى باطلة لأن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد ولذا يقول ابن مالك:

ومن رأى النفي بـ لن مؤبدا فقوله فاردد وسواه فاعضدا

الوجه الثامن: استدلالهم بقول موسى –عليه الصلاة والسلام-: (سبحانك) قاله لما رأى من كمال قدرة الله تعالى وعظمته حيث لم يستطع الجبل أن يتحمل قوة نوره ﷻ وليس معناه كما يقول النفاة ننزه مما لا يجوز عليه في الرؤية.

الوجه التاسع: قول موسى –عليه الصلاة والسلام- (تبت إليك) أي تبت إليك من مسألة الرؤية في الدنيا، وقيل قاله على جهة الإنابة والخشوع له عند ظهور الآيات كما مر وقد أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية[1].

الدليل الثالث:

قال النفاة : إن إثبات الرؤية يلزم منه أن الله في جهة وهذا يلزم منه أن له جسما وهذا ممتنع على الله.

والجواب على ذلك:

أن نقول: لفظ الجهة فيه إجمال فإن أريد بالجهة أنه حال في شيء من مخلوقاته فهذا باطل والأدلة ترده وهذا لا يلزم منه إثبات الرؤية، وإن أريد بالجهة أنه سبحانه فوق مخلوقاته فهذا ثابت لله ﷻ ونفيه باطل لا يتنافى مع رؤيته ﷻ .

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٢٧٩)

تاسعا
مسألة حكم من أنكر رؤية الله تعالى في الآخرة

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري الحنبلي -رحمه الله-:

«فإن اعترض الجاهل ممن لا علم معه أو بعض هؤلاء الجهمية الذين لم يوفقوا للرشاد ولعب بهم الشيطان وحرموا التوفيق فقال: وهل المؤمنون يرون الله ﷻ يوم القيام؟

قيل له: نعم، والحمد لله على ذلك

فإن قال الجهمي: أنا لم أؤمن بهذا

قيل له: كفرت بالله العظيم

فإن قال: وما الحجة؟

قيل: لأنك رددت القرآن والسنة وقول الصحابة ﷺ وقول علماء المسلمين واتبعت غير سبيل المؤمنين وكنت ممن قال الله فيهم ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء ١١٥] .... ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الرؤية»[١].

وسئل سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز -رحمه الله- سؤالا قال فيه سائله: هل رؤية الله تعالى ثابتة وما الدليل وما القول الراجح في ذلك؟

---

(١) التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة ص (٣٥-٣٦)

فأجاب -رحمه الله- «رؤية الله تعالى في الآخرة ثابتة عند أهل السنة والجماعة من أنكرها كفر، يراه المؤمنون يوم القيامة ويرونه في الجنة كما يشاء بإجماع أهل السنة كما قال ﷻ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة٢٢-٢٣] .

وقال سبحانه ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس٢٦] فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله .

وثبت في الحديث عن الرسول ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الجنة، أما في الدنيا فلا يرى الله في الدنيا كما قال تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾[الأنعام١٠٣] وقال لموسى ﴿ لَن تَرَانِي ﴾[الأعراف١٤٣] .

وثبت عنه ﷺ أنه قال {واعلموا أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت}(١) لأن الرؤيا نعيم ورؤية الله أعلى نعيم أهل الجنة وهذه الدار ليست بدار نعيم، هي دار الأكدار دار الأحزاب دار التكليف، فلا يرى الله في الدنيا ولكن يرى في الآخرة.

أما الكفار فهم محجوبون كما قال تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين١٥] .

(١) سبق تخريجه ص ١٨

المبحث الثاني

الاسلام والايمان

(١) معنى الإسلام
(٢) معنى الإيمان
(٣) مخالفو جمهور السلف في مسمى الإيمان
(٤) الفرق بين الإسلام والإيمان
(٥) زيادة الإيمان ونقصانه
(٦) أسباب زيادة الإيمان ونقصانه
(٧) أسباب نقص الإيمان
(٨) الاستثناء في الإيمان
(٩) شعب الإيمان
(١٠) ما يناقض الإيمان
(١١) أثر المعاصي على الإيمان
(١٢) مكفرات الذنوب
(١٣) حكم الإصرار على المعاصي
(١٤) الكفر والمكفرات
(١٥) أصول المكفرات
(١٦) آثار الكفر
(١٧) حكم مرتكب الكبيرة
(١٨) النفاق

المبحث الثاني

الإسلام والإيمان

(١) معنى الإسلام

الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال:

أحدها : قال طائفة: الإسلام هو الكلمة.

الثاني : أن الإسلام ما أجاب به النبي ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة.

الثالث : أن الإسلام مرادف للإيمان وجعلوا معنى قول الرسول ﷺ {إن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة ...}(١) شعائر الإسلام (٢).

(٢) معنى الإيمان

هناك ثلاث حقائق أساسية لا بد من توفرها حتى يصير الإيمان حقيقيا:

الأولى : حقيقة قولية وهي النطق بالشهادتين وإشهار ذلك وإعلانه.

الثانية: حقيقة قلبية وهي اعتقاد صدق ما نطق به اللسان والإخلاص في ذلك والانقياد له.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (١١٢٠)، مسلم (٧٦٩)

(٢) انظر شرح الطحاوية (٢/ ٤٨٩)

الثالثة: حقيقة عملية وهي ترجمة ما نطق به اللسان واعتقده القلب وإظهاره إلى الواقع العملي بخضوع الجوارح وانقيادها لأداء ما أمر الله وترك ما حرم الله.

أما عن معنى الإيمان فهو:

أولا: تعريفه في اللغة:

أكثر أهل العلم على أن معنى الإيمان في اللغة أنه التصديق، لكن في هذا التعريف نظر رده شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من وجوه عدة.

والذي اختاره في تعريف الإيمان أنه الإقرار وبهذا قال شيخنا محمد الصالح -رحمه الله- في شرحه للواسطية[1].

ثانيا: تعريفه في الشرع هو:

«قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح»

شرح التعريف:

أولا: المراد بقول القلب معرفته للحق وتصديقه به، قال الله تعالى ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف ٨٦] أي تشهد بأنه لا إله إلا الله (وهم يعلمون) أي بقلوبهم معنى ما نطق به بألسنتهم[2].

ولذلك كان معرفة القلب وتصديقه من لوازم الشهادتين، قال الإمام أحمد رحمه الله: «من جحد المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما، فإن فساد هذا القول معلوم من

(١) الإيمان الأوسط لابن تيمية ص٧٣، وشرح الواسطية (٢/ ٢٣٠)
(٢) انظر في ذلك معارج القبول (١/ ٣٠٧)

دين الإسلام»[1]. قال شيخ الإسلام: «الإيمان الذي في قلبه لا بد من شيئين: تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته ويقال لهذا قول القلب»[2].

أهمية معرفة القلب وتصديقه

«إن معرفة القلب وتصديقه بالحق إذا صادفت قلبا سليما خاليا من الحسد والكبر والانشغال بالشهوات والأهواء وما إلى ذلك فإن هذا القلب سيخضع للحق حتما وينقاد له لأن القلوب مفطورة على حب الحق وإرادته و لا شيء أحب إلى هذه القلوب السليمة من الله ﷻ»[3].

وقال شيخ الإسلام أيضا: «ولكن قد يعرض للقلوب ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعها، فالنصارى مثلا رغم عبادتهم لا علم لهم، واليهود رغم أنهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم لا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته ولهذا قال النبي ﷺ {اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون}[4] وأن هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء لهم قصد في الخير بلا معرفة له فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع»[5].

ثانيا: المراد من قولهم «قول اللسان» أي النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، أي إقراره بالشهادتين، وهذا الإقرار عنصر أساسي من عناصر الإيمان فلا يتحقق الإيمان التام إلا إذا تحقق إقرار اللسان بالشهادتين.

---

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية (ص ٣٧٦، ٣٧٧)
(٢) الإيمان (ص ١٧٦)
(٣) الإيمان الأوسط للشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٩)
(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨٢٠٢)
(٥) الإيمان الأوسط صـ ٧٠- ٧١

قال البدر العيني : «اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ما قاله النووي: إن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشكوك ونطق مع ذلك بالشهادتين فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلا بل يخلد في النار إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية، أو لغير ذلك، فإنه حينئذ يكون مؤمنا بالاعتقاد من غير لفظ»[1].

مسألة : مدلولات الإقرار بالشهادتين:

١. الإقرار بالتوحيد ولوازمه
٢. ترك الشرك والتبرئ منه
٣. التزام شرائع الإسلام

ثالثا: المراد من قولهم «عمل القلب»

عمل القلب المراد به تحركه وإرادته مثل الإخلاص في العمل فهذا عمل قلب وكذلك التوكل والرجاء والخوف، فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب بل هناك حركة في القلب[2].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله– : «ولا بد من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل

(١) عمدة القاري (١/ ١١٠)
(٢) شرح الواسطية لشيخنا رحمه الله (٢/ ٢٣١)

لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان» [1].

رابعا: المراد من قولهم «عمل اللسان»

أما عمل اللسان فالمراد به حركاته وليست هي النطق بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس وعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كقراءة القرآن وسائر الأذكار وغير ذلك.

خامسا: المراد من قولهم «عمل الجوارح»

ودخول الأعمال في مسمى الإيمان هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وقد حكى غير واحد الإجماع على ذلك.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر» [2].

والمراد من عمل الجوارح ما لا يؤدى إلا به مثل الركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا للمساجد والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان.

---

(١) الإيمان لابن تيمية (ص١٧٦)

(٢) الإيمان لابن تيمية (ص١٩٧)

(٣) مخالفو جمهور السلف في مسمى الإيمان

ذكرنا فيما سبق أن إجماع السلف انعقد على أن الإيمان قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح، غير أن هناك من خالف جمهور السلف في مسمى الإيمان، وممن خالف السلف في هذا الأمر:

أولا: الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- وأصحابه من فقهاء الكوفة حيث قالوا «الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط فأخرجوا بالتالي عمل الجوارح عن مسمى الإيمان.

قال شارح الطحاوية: «اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة -رحمهم الله- وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وذهب كثير من أصحابنا -أي الحنفية- إلى ما ذكره الطحاوي -رحمه الله- إنه إقرار باللسان والتصديق، ومنهم من يقول إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي -رحمه الله- ويروى عن أبي حنيفة -رضي الله عنه » [(١)].

قال صاحب المسامرة: «القول الرابع وهو أن الإيمان تصديق بالقلب واللسان ويعبر عنه أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وهو منقول عن أبي حنيفة ومشهور عن أصحابه» [(٢)].

---

(١) الطحاوية (٢/ ٤٥٩)

(٢) المسامرة: للكمال ابن أبي شريف الشافعي على المسايرة للكمال أبي الهمام الحنفي (ص٧٨٦)

ثانيا: المرجئة

ذهـب المـرجئة إلى أن الإيمان معنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعض فإذا ذهب بعضه ذهب كله فلم يبقى منه شيء.

فعند هؤلاء المرجئة والكرامية أن الإيمان هو إقرار باللسان فقط دون عقد القلب فمتـى نطـق العبد الشهادتين بلسانه فهذا يكفي في كونه مؤمنا كامل الإيمان وإن زنى وإن سرق وإن لم يفعل خيرا قط.

وهذا القول معلوم فساده بلا شك، لأنهم على قولهم الفاسد يكون المنافقون على هذا مؤمنين مع أن الله تعالى كذبهم في دعواهم فقال لنبيه ﷺ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ إلى قوله ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة ٨٤، ٨٥] .

وغـير ذلـك مـن الآيـات التي دلت على أن المنافقين لم ينفعهم إقرارهم بلسانهم فكيف يسوغ للمرجئة والكرامية أن يجعل الإيمان هو الإقرار فقط.

ثالثا: قول الأشاعرة

أما الأشاعرة فقد جعلوا الإيمان تصديق القلب فقط فلا يكفي عندهم المعرفة بل لا بد من التصديق.

وهذا لا شك غير صحيح لأن الكفار يصدقون بقلوبهم كما قال -جل وعلا- ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام ٣٣] .

وقال جل وعلا ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[النمل ١٤] .

فالكفار يصدقون بالرسول ﷺ في قلوبهم ويعرفون أنه رسول الله ولكنهم أبوا الاعتراف برسالته تكبرا وعنادا وحفاظا على شرفهم بزعمهم ومكانتهم بين الناس.

قال أبو طالب في بعض أشعاره:

ولقد علمت بأن دين محمد ❁ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ❁ لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ومن هنا نعلم أن مجرد التصديق بالقلب لا يكفي في مسمى الإيمان لأن الكفار يصدقون بقلوبهم كما ذكرنا لكن يمنعهم الجحود والاستكبار والعناد.

رابعا: قول الخوارج والمعتزلة

ذهب الخوارج ومن وافقهم إلى أن الطاعة بأسرها فرضا كانت أو نفلا هي الإيمان.

فعند هؤلاء أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان وأنها شرط في بقائه فمن فعل معصية من الكبائر خرج من الإيمان، لكن الخوارج يقولون إنه كافر أي أن من فعل

الكبيرة عندهم كافر. والمعتزلة يقولون هو في منزلة بين المنزلتين فلا نقول مؤمن ولا نقول كافر بل نقول خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر وصار في منزلة بين المنزلتين.

لكنهم اتفقوا على أن فاعل الكبيرة خالد مخلد في النار.

وهذا القول فاسد مصادم لنصوص الشريعة لأن النبي ﷺ كانت تأتي إليه وفود العرب فيسألونه عن الإسلام والإيمان وكل ما يقول له السائل في الفريضة هل على غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع شيئا . فجعل النوافل شرطا من شروط الإيمان غير صحيح.

أما كون مرتكب الكبيرة يكون كافرا فهذا باطل بنصوص الكتاب والسنة، قال الله تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا...﴾ [الحجرات ٩] .

فقد وصفهم الله بالإيمان والأخوة مع أنهم يقتل بعضهم بعضا والقتل للمؤمن من كبائر الذنوب ومع ذلك أمرنا سبحانه بالإصلاح بينهما.

فالشارع الحكيم الذي نفى عن السارق والزاني والشارب اسم الإيمان كما جاء في قوله ﷺ {لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ...}[١].

الشارع نفسه لم يجعلهم مرتدين عن الإسلام كما زعمت الخوارج بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ولم يقتل أحدا إلا الزاني المحصن ولم يقتله قتل المرتد، فإن المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة وهذا يرجم بالحجارة بلا استتابه فدل على أنه إن نفى عنهم الإيمان فليسوا عنده مرتدين عن الإسلام مع ظهور ذنوبهم وليسوا كالمنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فأولئك لم يعاقبهم إلا على ذنب ظاهر [٢].

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٧٥) (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧)
(٢) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٨٢)

(٤) الفرق بين الإسلام والإيمان

هل الإسلام والإيمان بمعنى واحد أم أن بينهما فرقا ولكل واحد منهما معنى يخالف الآخر؟

هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم على قولين:

القول الأول: أن الإسلام والإيمان متغايران وأن بينهما فرقا وإلى هذا ذهب جماعة من العلماء وقالوا: الإسلام الكلمة والإيمان العمل. وهذا قول الإمام أحمد وغيره من أئمة أهل السنة .

القول الثاني: أنه لا فرق بين الإسلام والإيمان وأنهما بمعنى واحد، وممن قال بذلك ابن عبد البر وغيره من أهل العلم.

والذي يظهر أن لكل منهما معنى وهذا هو ظاهر النصوص التي فرقت بينهما وعطفت أحدهما على الآخر وهي نصوص كثيرة من الكتاب والسنة.

فمن هذه النصوص: قول الله تعالى ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[الحجرات ١٤] وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[الأحزاب ٣٥] .

ومن السنة قوله ﷺ {اللهم لك أسلمت وبك آمنت...}[١].

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩)

وقـيل أيضـا للنبي ﷺ: {مالك وفلان و الله إني لأراه مؤمنا؟ قال: أو مسلما}[1] قالها ثلاثا. فأثبت له اسم الإسلام وتوقف في الإيمان.

ومـن هنا نعلم أن المراد من أحدها غير المراد من الآخر فمن قال هما سواء كان مخالفا، والواجب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله.

(١) أخرجه البخاري (٢٧)، (١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠)

(٥) زيادة الإيمان ونقصانه

لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه وأن أهله متفاضلون فيه، فبعضهم أكمل إيمانا من بعض منهم السابق بالخيرات ومنهم المقتصد ومنهم الظالم لنفسه، فمنهم المحسن ومنهم المؤمن ومنهم المسلم كما جاءت نصوص الكتاب والسنة في ذلك، فهم ليسوا في الدين في مرتبة واحدة.

وهذا هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أي أنهم يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه.

الأدلة على ذلك:

أولا: دلالة الكتاب

قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[آل عمران ١٧٣].

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال ٢].

وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[التوبة ١٢٤].

وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[الأحزاب ٢٢]

وقوله تعالى﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ... ﴾[الفتح ٤] وقوله تعالى ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾[المدثر ٣١] .

فهذه ستة مواضع من كتاب الله تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان. وإذا كانت هذه الآيات جاءت في التصريح بزيادة الإيمان فهي أيضا تدل بدلالة المفهوم على نقصانه فكل ما جاز زيادته جاز عليه النقصان.

ثانيا: دلالة السنة على زيادة الإيمان ونقصانه

الدليل الأول: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن}[1].

فالمراد من هذا الحديث نفي كمال الإيمان الواجب لمن اقترف هذه المعاصي وأنه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

فالمؤمن قد يرتكب هذه المعاصي فينقص إيمانه فيكون مؤمنا ناقص الإيمان فإن تاب وأقلع عن هذه المعاصي زاد إيمانه.

وممن احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه جماعة من أهل العلم منهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

(١) رواه البخاري انظره في الفتح (٥/١١٩) (١٠/ ٣٠)، ومسلم شرح النووي (٢/ ٤١)

قال إسحاق بن إبراهيم: سألت أبا عبد الله عن الإيمان ونقصانه فقال: نقصانه قول النبي ﷺ :{لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن}(١).

وقال أيضا رحمه الله: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وقال الزيادة في العمل وذكر النقصان إذا زنى وسرق» (٢).

الدليل الثاني: ومن الأدلة أيضا على زيادة الإيمان ونقصانه من السنة حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {الإيمان بضع و سبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان}(٣).

وجه الدلالة من الحديث أن هذه الشعب المذكورة في الحديث ليست على درجة واحدة في الفضل بل بعضها أفضل من بعض كما هو ظاهر من قوله ﷺ {أعلاها} وقوله {أدناها}فشعب الإيمان منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادتين ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق.

ولهذا استدل بهذا الحديث علماء السنة على زيادة الإيمان ونقصانه، وممن استدل به الترمذي فخرجه في باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادة نقصانه(٤).

وقال ابن حبان في صحيحه: «ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ثم ذكر حديث أبي هريرة: الإيمان بضع وسبعون شعبة»(٥).

(١) رواه الخلال في السنة برقم (١٠٤٥) وابن هانئ في مسائله (٢/ ١٦٤)
(٢) رواه الخلال (١٠٣٥)، وابن بطة في الإنابة (١٠٤٥)
(٣) أخرجه البخاري انظر فتح الباري (١/ ٥١)، ومسلم شرح النووي (٢/ ٦)
(٤) السنن (٥/ ١٠)
(٥) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان (١/ ١٩٤)

قال العلامة ابن سعدي -رحمه الله- تعليقا على حديث أبي هريرة هذا «وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب واتصاف العبد بها أو عدمه ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها كثيرا فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد خالف الحس مع مخالفته لنصوص الشرع كما ترى»[1].

الدليل الثالث: ومن الأدلة أيضا حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال {يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير}[2].

فهذا الحديث احتج به الإمام البخاري على زيادة الإيمان ونقصانه، ووجه الدلالة من هذا الحديث أن القائلين لا إله إلا الله متفاوتون في إيمانهم وأن منهم من يدخل النار بتفريطه وتقصيره في طاعة الله وأنه لا يخلد في النار لوجود أصل الإيمان معه فلا يسوي في الإيمان بين من معه إيمان يمنعه من دخول النار كلية وبين من لم يمنعه إيمانه من دخولها لتفريطه وكثرة معاصيه أن يمكث فترة قصيرة في النار وبين من استوجبت له أن يمكث فترة أطول.

وبهذه الأدلة نرى أن مذهب أهل السنة في هذه المسألة -أعني مسألة زيادة الإيمان ونقصانه- هو المذهب الصحيح بخلاف ما ذهب إليه بعض الطوائف الأخرى من القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه أو زيادته دون نقصانه أو توقف في النقصان دون الزيادة.

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص١٤)

(٢) أخرجه البخاري، انظر في الفتح (١/ ١٠٣)، ومسلم في شرح النووي (٢/ ٥٩)

(٦) أسباب زيادة الإيمان ونقصانه

لما كان الإيمان يزيد وينقص كما قررنا سابقا جعل الله لزيادته أمورا تزيده وحث عليها، وذكر أن هناك أمورا تضعفه وتنقصه فحذر منها.

والمسلم الحق هو الذي يبحث عما يقوي به إيمانه فيقوم بفعله ويتعرف عما ينقص به إيمانه ليحذر منه ويتجنبه.

فما هي إذا عوامل زيادة الإيمان ونقصانه؟

الأسباب المؤدية إلى زيادة الإيمان

أولا: تعلم العلم النافع.

من أعظم ما يزيد الإيمان تعلم العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس العلم المبني على الفلسفة والمنطق فإن هذا العلم يورث صاحبه الكآبة والسآمة ونقصان الدين ولذا حذر السلف من هذا العلم.

فأعظم العلم العلم بالله وأسمائه وصفاته وشرعه، فهذا الذي يورث العبد زيادة في إيمانه قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[الفاطر ٢٨].

وقال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران ١٨] وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ١٠٩﴾ [الإسراء، الآيات: ١٠٧-١٠٩] .

وفي الصحيحين من حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين}[١].

وعن أبي إمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم إن الله ﷻ وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها ليصلون على معلم الناس الخير}[٢].

والأدلة على فضل العلم وفضل أهله كثيرة وهي تدل دلالة واضحة أن من سلك طريق العلم فإنه قد ورث ميراث النبوة فإنهم لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم.

وزيادة الإيمان الحاصلة بالعلم تكون من وجوه متعددة:

الوجه الأول : خروجه وخروج أهله في تحصيله.

الوجه الثاني : جلوسهم في حلق الذكر.

الوجه الثالث : مذاكرة بعضهم بعضا في مسائل العلم.

الوجه الرابع : زيادة معرفتهم بالله وشرعه.

الوجه الخامس : تطبيقهم لما تعلموه من العلم الشرعي.

---

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١/ ١٦٤)، ومسلم (٢/ ١٥٢٤)

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٥٠) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٣٤٣)

فهذه بعض الجوانب ووجوه تعلم العلم الذي يزداد بها الإيمان.

أبواب العلم النافع التي يحصل بها زيادة الإيمان

أما عن الأبواب التي يحصل بها زيادة الإيمان من خلال العلم الشرعي فمن هذه الأبواب:

الباب الأول: قراءة القرآن بتدبر

فهي من أعظم أبواب العلم المؤدية إلى زيادة الإيمان وثباته وقوته، قال ابن القيم -رحمه الله-:

«وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله...» [1].

الباب الثاني: معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

من أعظم الأمور التي يزداد بها القلب إيمانا معرفة الرب ﷻ بأسمائه وصفاته التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة والتي تدل على كمال الله المطلق من كافة الوجوه.

فمن الفوائد المترتبة على معرفة أسماء الله وصفاته:

(١) أن علم توحيد الأسماء والصفات من أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق فالاشتغال بفهمه والبحث عنه اشتغال بأعلى المطالب.

---

(١) مفتاح دار السعادة صـ ٢٠٤

(٢) أن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العلم له وهذا عليه سعادة العبد.

(٣) إن أحد أركان الإيمان بل وأفضلها الإيمان بالله وليس الإيمان قول «آمنت بالله» من غير معرفته لربه بل حقيقة الإيمان أن يعرف المؤمن أن يعبده ويؤمن به فيبذل جهده ومعرفة أسمائه وصفاته، فكلما ازداد العبد معرفة بربه ازداد إيمانه به .

(٤) أن العلم به تعالى هو أصل الأشياء كلها حتى إن العارف به حقيقة المعرفة يستدل بما عرف من صفاته وأفعاله على ما يفعله وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته.

الباب الثالث: تأمل سيرة النبي ﷺ

فهذا من أسباب زيادة الإيمان فالنظر إلى سيرته ﷺ ودراستها وتأمل ما ذكر فيها من نعوته الطيبة وخصاله الكريمة وشمائله الحميدة وغير ذلك من الخصال الحميدة فإن العبد يزداد إيمانه بذلك، وتحصل هذه الزيادة من جهة أنه متى عرف خصال النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- ازداد محبته له وأورثته هذه المحبة متابعة لنبيه ﷺ في القول والعمل وبالتالي يزداد إيمان العبد من جهة هذه المتابعة.

الباب الرابع: تأمل محاسن الدين الإسلامي.

إن الدين الإسلامي كله محاسن، عقائده أصلح العقائد وأصدقها وأنفعها، وأخلاقه أحمد الأخلاق وأجملها، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها.

وبهذا النظر الجليل والتأمل الجميل في محاسن هذا الدين يزيد الله الإيمان في قلب العبد ويحببه إليه كما امتن به على خيار خلقه بقوله ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾[الحجرات ٧] .

فيكون الإيمان في القلب أعظم المحبوبات وأجمل الأشياء وبهذا يذوق العبد حلاوة الإيمان ويجدها في قلبه.

الباب الخامس : قراءة سيرة السلف الصالح.

فإن سيرة السلف الصالح -رضوان الله عليهم- من أصحاب النبي وتابعيهم بإحسان تعد من أعظم ما يزيد القلب إيمانا ومحبة لله وإجلالا له، فهم خير القرون وحماة الإسلام وأهل المشاهد والمواقف العظام، وهم حملة هذا الدين أقوى الناس إيمانا وأرسخهم علما وأبرهم قلوبا وأزكاهم نفوسا اختارهم الله لنصرة دينه ونصرة نبيه فقاموا بذلك أعظم قيام فرضي الله عنهم جميعا.

ثانيا : من الأسباب المؤدية لزيادة الإيمان «التأمل في آيات الله الكونية».

إن التأمل في آيات الله الكونية وما تحتوي عليه هذه الآيات من أعظم أسباب الإيمان ودواعيه.

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة ١٦٤] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[آل عمران ١٩٠].

وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

[الغاشية، الآيات: ١٧-٢٠].

الآيات التي تدعو إلى التفكر في آيات الله الكونية كثيرة، قال ابن سعدي -رحمه الله- :

«ومن أسباب الإيمان ودواعيه، التفكر في الكون في خلق السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات فإن ذلك داع قوي للإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدال على قدرة خالقها وعظمته....» [١].

(١) التوضيح والبيان صـ٣١

(٧) أسباب نقص الإيمان

كما أن هناك أسبابا تزيد الإيمان وتقويه فهناك أسباب تنقص الإيمان وتضعفه، ومن أعظم أسباب نقص الإيمان ما يلي:

(١) الجهل بالله وشرعه.

فهذا من أعظم أسباب نقص الإيمان كما أن العلم من أعظم أسباب زيادته، فالمسلم العالم لا يؤثر محبة وفعل ما يضره ويشقى به ويتألم به على ما فيه نفعه وفلاحه وصلاحه.

وخلاصة القول هنا أن الجهل بالله وبأسمائه وصفاته من أعظم الأمور التي تضعف الإيمان فهو داء خطير ومرض فتاك يجر على صاحبه من الويلات والعواقب الوخيمة الشر الكثير.

(٢) الغفلة والإعراض والنسيان.

فهذه الأمور سبب عظيم من أسباب نقص الإيمان، فمن اعترته الغفلة وشغله النسيان وحصل فيه الإعراض نقص إيمانه وضعف بحسب هذه الأمور الثلاث وأوجبت له مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه.

(٣) فعل المعاصي وارتكاب الذنوب.

فإن هذا لا يخفى ما به من ضرر وسوء الأثر على الإيمان، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فكما أن فعل ما أمر الله به من واجب ومندوب يزيد في الإيمان فكذلك فعل ما نهى الله عنه من محرم ومكروه ينقص الإيمان.

(٨) الاستثناء في الايمان

معنى الاستثناء في الإيمان أن يقول العبد: «أنا مؤمن إن شاء الله» أو «أرجو أن أكون مؤمنا» يقول ذلك حينما يسأل هل هو مؤمن؟

ولما كانت هذه المسألة مرتبطة ارتباطا وثيقا بينها وبين المسألة السابقة -أعني مسألة زيادة الإيمان ونقصانه- كان ولا بد من التنبيه عليه.

العلاقة بين القول بالاستثناء في الإيمان والقول بزيادة الايمان ونقصانه.

إن العلاقة ذات ارتباط وثيق وعلاقة وطيدة بين كليهما لأن من كان مذهبه أن الإيمان يزيد وينقص وأن أهله يتفاضلون فيه يرى الاستثناء في الإيمان على اعتبار أنه لا يقطع بتكميل الإيمان وبالإتيان به على الدرجة العالية المطلوبة، بخلاف من يرى أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص وأن أهله فيه سواء فصاحب هذا القول يرى عدم جواز الاستثناء في الإيمان ويقطع بإيمانه بل ويعد من قال باستثناء في الإيمان شاكا ولذلك سموا من يقول بالاستثناء وهو أهل السنة بلا شك سماهم أهل البدع (الشكاكة) لأنهم يقولون بالاستثناء.

أقوال الناس في الاستثناء

تعددت أقوال الناس في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

الأول : تحريم الاستثناء وهو قول المرجئة والجهمية ونحوهم، وهؤلاء يجعلون الإيمان شيئا واحدا يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحوه مما في قلبه ويجزم به ويعرفه فهم يقولون نحن نعلم أننا مؤمنون كما نعلم أننا تكلمنا بالشهادتين وكما نعلم أننا قرأنا الفاتحة.

فقولنا نحن مؤمنون كقولنا نحن مسلمون وقولنا قرأنا الفاتحة فنحن نعلم ذلك ونقطع به فكما أننا لا نقول قرأنا الفاتحة إن شاء الله فكذلك لا نقول نحن مؤمنون إن شاء الله، فمن استثنى في إيمانه عند هذه الطوائف فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون الشكاكة.

الثاني : قال أصحابه بوجوب الاستثناء وأنه يجب على المسلم أن يستثني ولا يجزم بأنه مؤمن، وقال بهذا القول الكلابية والأشعرية وذلك لأن الإيمان عند هؤلاء هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمنا وكافرا باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة له، والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرا ليس بإيمان كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال وكالصيام الذي يفطر صاحبها قبل الغروب.

ومفهوم الموافاة عند هؤلاء أن العبد يأتي موافيا به بأنه يبقى عليه إلى الوفاة فيكون متصفا به إلى آخر حياته.

ويقولون أيضا أننا لو قلنا بأنا مؤمنون لجزمنا بأنا في الجنة لأن الله وعد المؤمنين بالجنة ولا يجوز القطع بذلك إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بذلك.

ثم إن في ذلك تزكية للنفس وقد نهينا عن ذلك في قوله تعالى ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[النجم ٣٢] .

ثم إن الاسم عند الإطلاق يقتضي الإطلاق والمتكلم بذلك لا يعلم به فهو لا يقطع بأنه كامل الإيمان.

ولذا كان السلف يخافون على أنفسهم النفاق لشدة خوفهم من الله وعدم قطعهم بتحقيق كمال الإيمان لهم رضوان الله عليهم [1].

الثالث: جواز الاستثناء وأنه مشروع.

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، لأن الإيمان عندهم شامل للاعتقادات والأقوال والأعمال، فإذا سئل أحدهم هل أنت مؤمن أجاب قائلا: أنا مؤمن إن شاء الله أو قال: أرجو أن أكون مؤمنا، أجاب بذلك مخافة عدم تكميل الأعمال التي بكمالها يكمل الإيمان.

وليس هذا شكا منهم كما زعم ذلك أهل البدع، فهم أعلى وأرفع من ذلك تركا لتزكية النفس والشهادة لها بتكميل الأعمال.

قال شيخ الإسلام: «وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة فكانوا يستثنون في الإيمان وهذا متواتر عنهم» [2].

وقال أيضا: «الاستثناء في الإيمان سنة عند أصحابنا وأكثر أهل السنة» [3].

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٤٩٥)
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٨-٤٣٩)
(٣) الفتاوى (٧/ ٦٦٦)

(٩) شعب الإيمان

للإيمان شعب كثيرة حددها رسول الله ﷺ على سبيل الإجمال في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ حيث قال {الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان}[١].

وقد حصر بعض أهل العلم هذه الشعب وبينوها، ومن هؤلاء الإمام البيهقي فقد حصرها وشرحها في كتاب كبير في سبع مجلدات.

وهذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن. فأعمال القلب هي المعتقدات والنيات ومنها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر واليوم الآخر والحساب والميزان والإخلاص والتوبة والخوف والرجاء والشكر وغيرها.

وأعمال اللسان منها تلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليم الناس الخير والدعاء والذكر.

وأعمال البدن منها التطهر والصلاة والزكاة والصيام والعمرة والحج والاعتكاف والوفاء بالنذر وأداء الواجبات الشرعية والقيام بحقوق الأولاد وصلة الرحم وبر الوالدين والجهاد وحسن معاملة الجار وأداء الأمانة ورد السلام وكف الأذى وإماطة الأذى وغير ذلك.

(١) سبق تخريجه ص ٦٣ .

(١٠) ما يناقض الإيمان

إذا كان الإيمان لا يتحقق إلا بتحقق عناصره من القول والعمل في الظاهر والباطن، وإذا كان الكفر هو تخلف أحد هذه العناصر مما يمس أصل الإيمان، فإن تحقق الإيمان لشخص ما لا يضمن له النجاة من الكفر إلا إذا مات على هذا الإيمان ولم ينقضه بقول أو عمل أو اعتقاد.

ونواقض الإيمان من الأقوال والأفعال والاعتقادات قد أفردها كثير من العلماء وجعلوا لها بابا خاصا بها سموه باب المرتد.

والردة في الشرع هي «الرجوع عن الإسلام إلى الكفر وقطع الإسلام» وتحصل هذه الردة تارة بالقول وتارة بالفعل وتارة بالاعتقاد.

أولا: نواقض الإيمان القولية.

وذلك كأن يسب الله ورسوله ﷺ أو أن يدعي أنه يوحى إليه أو يدعي النبوة أو يدعي أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها وكذا لو سب نبيا من الأنبياء أو استخف به فكل ذلك يعد ناقضا من نواقض الإسلام.

ثانيا: نواقض الإيمان الفعلية.

تحصل الردة بالفعل كأن يسجد لصنم أو الشمس أو القمر أو أن يلقي المصحف في القاذورات وكذا أن يذبح لغير الله كأن يذبح للأصنام وكذا السخرية بأسماء الله تعالى أو بأمره ووعيده أو قراءة القرآن على ضرب الدف، أو فعل فعلا أجمع المسلمون أنه لا

يصدر إلا عن كافر وإن كان مصرحا بالإسلام مع فعله كالسجود للصليب ونحو ذلك، فهذا ردة عن دين الإسلام.

ثالثا: نواقض الإيمان الاعتقادية

كأن يعتقد قدم العالم أو حدوث الصانع أو اعتقد نفي ما هو ثابت لله بالإجماع أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان والاتصال والانفصال، أو استحل ما هو حرام بالإجماع أو حرم حلالا بالإجماع أو استحل الخمر أو لحم الخنزير أو الزنا أو اللواط، أو أن السلطان يحلل ويحرم أو أن يرضى بالكفر أو أن يعتقد أن هذا الكون له مدبر غير الله فيعتقد في الأولياء أنهم يدبرون حوائج الناس، أو اعتقد أن الولي أفضل من النبي ونحو ذلك مما يعتقده عباد القبور كل هذا يعد ناقضا من نواقض الإيمان.

(١١) أثر المعاصي على الإيمان

ذكرنا فيما سبق أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فللمعصية دور كبير في نقصان الإيمان لكن المعاصي درجات فبعضها كفر وبعضها ليس بكفر، وما ليس بكفر منها ما هو كبيرة من كبائر الذنوب ومنها ما هو صغيرة، وبيان ذلك كالآتي:

(١) المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر.

جاءت نصوص الكتاب والسنة مبنية ما هو من المعاصي مخرج من الملة و ما هو غير مخرج من الملة، وأخبرت هذه النصوص أن الأولى – أعني المعاصي المخرجة من الملة- لا تغفر إلا بالتوبة وتجديد الإيمان وأن الثاني صاحبها في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[النساء ٤٨] .

وقال تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ ﴾[الحجرات ٧] .

ففي الآية الأولى يبين ﷻ أنه لا يغفر لأحد مات على الشرك وما دون الشرك فإنه يغفره لمن يشاء من عباده.

وفي الآية الثانية قال شيخ الإسلام –رضي الله-: «قال محمد ابن نصر المروزي: لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرق بينها فجعلها ثلاثة أنواع: نوع منها

كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق وأخبر أنه كرهها كلها إلى المؤمنين»[1].

وإذا كانت المعاصي درجات فكما ذكرنا أنها أيضا درجات في التوبة فمنها ما تحتاج إلى توبة وتجديد إيمان لمعصية الشرك أو الكفر فإنه لا يغفرها سبحانه إلا بذلك، أما المعاصي الأخرى فصاحبها تحت المشيئة على ما ذكرناه.

المعاصي التي ليست بكفر

المعاصي التي هي دون الكفر أو الشرك المخرج من الملة ذهب السلف والخلف إلى انقسامها إلى قسمين: كبائر وصغائر.

دليل هذا التقسيم قوله ﷺ {الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر}[2].

وقوله ﷺ {من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا رجل فيسب الرجل أباه ويسب أمه فيسب أمه}[3].

وإذا كانت المعصية على ما ذكرناه منها ما هو كبيرة ومنها ما هو صغيرة فلا بد من بيان ذلك وبيان كيفية الخروج من إثمهما.

---

(١) الإيمان لابن تيمية (ص٣٩)
(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٣)
(٣) رواه البخاري (فتح الباري ١٠/٣٣٨)، ومسلم برقم (٢٥٥٦)

أولا: الكبائر

تعريفها: اختلفت تعريفات العلماء لها والراجح من أقوال أهل العلم في تعريفها أنها: «هي كل معصية يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب»

ثانيا: الصغائر

الصغائر هي «كل معصية لم يترتب عليها حد ولم يتوعد عليها بالنار أو اللعن أو الغضب» لكن هل الإصرار على المعصية يوصلها إلى الكبيرة؟

الجواب: نص بعض العلماء على أن الإصرار على الصغيرة بمثابة ارتكاب الكبيرة وحد الإصرار عندهم أن يتكرر فعل الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاة الشخص بدينه وكذلك الإكثار من فعل الصغائر ولو كانت مختلفة لا يقل عند البعض عن ارتكاب كبيرة من الكبائر لأن هذا الإكثار من فعل الصغائر عندهم يدل على عدم المبالاة بالدين [1].

(١) الإيمان لمحمد نعيم ياسين (ص١٢٣)

(١٢) مكفرات الذنوب

فتح الله تعالى لعباده المؤمنين أبوابا لتكفير الذنوب والخطايا التي يقعون فيها تخليصا لهم مما يقعون فيه وإسقاطا للعقوبة عنهم، كل ذلك فضلا منه ورحمة.

ولما كان كل بني آدم خطاء كان ولا بد من بيان جملة من الأبواب التي يقرعها المذنب عند وقوعه في الزلل لكي تسقط العقوبة عنه.

وهذه جملة من الأسباب التي تسقط العقوبة عن العبد:

الأول: التوبة والاستغفار

وهذا متفق عليه عند أهل السنة والجماعة. والتوبة التي تسقط العقوبة هي التوبة النصوح النابعة من القلوب لا المقتصرة على نطق اللسان فقط بل توبة يصاحبها الندم على ما فات من المعاصي والعزم على أن لا يعود إليها.

الثاني: الأعمال الصالحة

اتفق أهل السنة على أن التوبة النصوح تكفر الذنب كبيره وصغيره، لكن هل الأعمال الصالحة والإكثار منها يكفر الذنوب دون حصول التوبة والاستغفار؟

اتفق أهل السنة على أن الأعمال الصالحة تكفر الصغائر لكن اختلفوا في تكفيرها للكبائر، قال الله تعالى ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[النساء ٣١] وقال ﷺ {الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر}(١).

فجمهور أهل العلم على أن الكبائر لا تكفر بدون توبة وأن الحسنات إنما تكفر الصغائر فقط.

وذهب قوم من أهل الحديث وغيرهم إلى أن الحسنات قد تكفر الكبائر أيضا وبهذا قال شيخ الإسلام(٢).

الثاني: من أسباب غفران الذنب «حصول المصائب»

قال ﷺ {ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه}(٣).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له وما أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له}(٤).

---

(١) سبق تخريجه
(٢) انظر في ذلك كتاب الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام (ص٣٢،٣٣،٣٤)
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢)
(٤) رواه البخاري برقم (٢٨)

قال ابن رجب تعليقا على هذا الحديث: «وقوله عوقب، يعم العقوبات الشرعية وهي الحدود المقدرة وغير المقدرة كالتعزيرات، ويشمل العقوبات القدرية كالمصائب والإسقام والآلام» [1].

الثالث: دعاء المؤمنين

دعاء المؤمنين للمؤمنين واستغفارهم لهم في الحياة وبعد الممات كصلاتهم على جنائزهم من الأسباب التي تكفر الذنوب.

عن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: { ما من رجل يموت يقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه}[2].

الرابع: فعل المعروف للميت بعد موته.

اتفق أهل العلم على ما يعمل للميت بعد موته من أعمال البر كالصدقة عنه والحج وكذا العتق وغير ذلك من أعمال البر كلٍ ذلك ينتفع به لورود النصوص الصريحة في ذلك.

الخامس: ما يحصل في القبر من الفتنة الضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

السادس: أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها

السابع: شفاعة النبي ﷺ وغيره ممن يؤذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة من أهل الذنوب كما جاءت النصوص بذلك.

الثامن: رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد [3].

---

(١) جامع العلوم والحكم صـ ١٥٢

(٢) رواه مسلم برقم (٩٤٨)

(٣) انظر في ذلك كتاب الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة لابن حجر العسقلاني، وكتاب كفارات الخطايا وموجبات المغفرة لكل من حامد إبراهيم أحمد ومحمد حسين العقبي

(١٣) حكم الإصرار على المعصية

معنى الإصرار على المعصية هو الإقامة على فعلها ولزوم الفعل لها مع علمه بأنها معصية ولا يحدث لذلك استغفار ولا توبة.

حكم المصر على المعصية عند أهل السنة والجماعة كحكم مرتكب الكبيرة ويخشى عليه سوء العاقبة لأن العاصي يريد الكفر والإكثار من المعاصي قد يؤدي إلى الوقوع في الكفر والردة.

فالاستغراق في المعصية والإصرار عليها قد يجعلها تحيط بصاحبها وتنبت النفاق في قلبه.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «ولا ريب أن المعصية قد تكون سببا للكفر كما قال بعض السلف العاصي يريد الكفر فينهى عنها خشية أن تفضي إلى الكفر المحبط كما قال تعالى:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور : ٦٣] أي الكفر ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] وإبليس خالف أمر الله فصار كافرا وغيره أصابه عذاب أليم»[١].

وخلاصة الأمر هنا أن مجرد فعل المعصية والإصرار عليها لا يدل عند أهل السنة والجماعة على نقض الشهادتين والخلود في النار مع الكفار والمرتدين إلا إذا صاحب ذلك استحلال لهذه المعصية.

---

(١) الإيمان الأوسط (ص ٣٦)

قال شيخ الإسلام: «أن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه واعتقاد انقياده لله تعالى فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند، ولهذا قالوا: من عصى الله مستكبرا كإبليس كفر بالاتفاق ومن عصى مشتهيا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة وإنما يكفره الخوارج...» [1].

(١) الصارم المسلول (٥٢١، ٥٢٢)

(١٤) الكفر والمكفرات

الكفر هو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به مما علم من دينه بالضرورة.

وكما أن الإيمان له شعب فكذلك الكفر له شعب وهو يكون بالقلب كالجحود والتكذيب والبغض لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ .

ويكون باللسان كسب الله ورسوله أو الاستهزاء بالله ورسوله، ويكون أحيانا بترك بعض الأعمال التي ورد الشرع بأن تركها كفر مثل الصلاة.

أقسام الكفر

ينقسم الكفر إلى قسمين:

الأول: كفر أكبر يناقض الإيمان ويوجب الخروج من الملة والخلود في النار. والكفر الأكبر ينقسم إلى عدة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب

وهو اعتقاد كذب الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وهذا النوع من الكفر يكون بتكذيب المخبر أو بتكذيب الخبر. فتكذيب المخبر يكون بسماع خبر الرسول وما جاء به من ربه فيكذبه في رسالته ويرد خبره.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «فأما كفر التكذيب فهو اعتقاد كذب الرسل وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة أو أزال به المعذرة» [1].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٧)، وانظر كذلك معارج القبول (٢/ ٢٢)

أما التكذيب بالخبر فيكون بسماع الرجل الخبر معلوما بالضرورة من دين الإسلام ثم ينكره كأن ينكر فرضية الصلاة والزكاة والحج والصيام وأن لا يعترف بحرمة الزنا أو القتل أو الخمر أو السرقة أو الربا أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها الرسول ﷺ وعلمت من الدين بالضرورة كالإيمان بأسماء الله وصفاته وأن محمدا رسول الله ﷺ، رسول الله إلى الناس كافة وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وغير ذلك. فمتى كذب أحد ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين.

النوع الثاني : كفر العناد والاستكبار

وهو ما يسميه بعض أهل العلم الكفر الإبليسي وهو الذي يقع عنادا واستكبارا وقد وقع هذا النوع من كثير من الكفار.

تعريفه: هو أن يعرف الحق بقلبه ويصدقه بقلبه ولسانه ولكن يأبى أن يذعن له ويلتزم به ويستسلم له بقلبه وجوارحه.

قال الحكمي -رحمه الله-: «وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان كفر عنادا واستكبارا ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم وكفر من ترك الصلاة عنادا واستكبارا» [(١)].

دليل هذا النوع من الكفر قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [البقرة ٨٩] وقال أيضا كما حكى عن فرعون وقومه ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾[المؤمنون ٤٧] .

(١) معارج القبول (٢/ ٢٢)

وكما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقرة ١٤٦] .

النوع الثالث : كفر الإعراض

وذلك بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغى له ولا إلى ما جاء به البتة.

كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ : والله أقول لك كلمة إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك[1] .

وقال تعالى في بيان هذا النوع من الكفر ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾[الأحقاف ٣].

وقال أيضا ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[السجدة ٢٢].

النوع الرابع : كفر الشك

قال ابن القيم -رحمه الله-:

«وأما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه بل يشك في أمره وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها[2]».

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٨)
(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣٨)

قال تعالى ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ [الدخان ٩] .

وقوله تعالى ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم ١٠].

النوع الخامس: كفر النفاق

وهو أن يظهر التصديق باللسان ويظهر الانقياد والاستسلام باللسان والجوارح بينما قلبه يكون خاليا من الاعتقاد.

يقول صاحب معارج القبول:

«وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان وانقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة، الآيات: ٨-٢٠] (١)

---

(١) معارج القبول (٢/ ٢٢)

القسم الثاني من أقسام الكفر
الكفر الأصغر

وهـذا لا ينافي أصل الإيمان ولا يذهب به بالكلية وإنما ينقص كماله والمتصف به يصبح مذموما شرعا وإن جرت عليها الأحكام لبقاء أصل الإيمان معه وهذا يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود في النار عكس الأكبر.

قال حافظ الحكمي -رحمه الله-:

«ولا منافاة بين تسمية العمل فسقا أو عامله فاسقا وبين تسميته مسلما وجريان أحكام المسلمين عليه لأنه ليس كل فسق يكون كفرا ولا كل ما سمي كفرا و ظلما يكون مخرجا من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته وذلك لأن كلا من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في نصوص على قسمين:

أكبر يخرج من الملة لمنافاة أصل الدين بالكلية، وأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله ولا يخرج صاحبه منه فكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق»[1].

ذكر بعض النصوص التي تسمي بعض المعاصي كفرا وشركا.

من هذه النصوص:

قوله ﷺ {سباب المسلم فسوق وقتاله كفر}[2] وقوله ﷺ {من حلف بغير الله فقد أشرك}[3]. وقوله ﷺ {من حمل السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا}[4] وقوله ﷺ {لا

(١) معارج القبول (٢/ ٤٢٠)
(٢) رواه البخاري برقم (٤٨) (٦٠٤٤)، ومسلم برقم (٦٤)
(٣) رواه أحمد (٢/ ٦٩، ٨٧) وأبو داود (٣٢٥١) وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢٧٨٧)
(٤) رواه مسلم برقم (١٠١)، (١٠٢)

يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن }[1].

وهذه النصوص حملها أهل السنة والجماعة على أنها من جملة المعاصي التي تنقص الإيمان وتنافي كماله ولا تخرج صاحبه من الملة، وخالف أهل السنة فيها الخوارج فحملوها على ظاهرها فحكموا بكفر مرتكب الكبيرة.

الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر

الفرق بينهما يكون من وجوه:

أولا : أن الكفر الأكبر يحبط العمل بالكلية، قال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ ﴾[إبراهيم ١٨].

أما الكفر الأصغر فإنه لا يحبط العمل وإن كان ينقصه.

ثانيا : الكفر الأكبر يوجب الخلود في النار كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[البينة ٦] .

أما الكفر الأصغر فلا يوجب دخول النار بل تحت المشيئة على قول.

وفي قول آخر أنه يوجب دخول النار لكن دون الخلود فيها بل يعذب على قدر المعصية ثم يخرج من النار.

ثالثا : أن الكفر الأكبر إذا مات عليه صاحبه لم يغفر له.

أما الكفر الأصغر فهو تحت المشيئة إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ولا ينافي ذلك إيجابه الوعيد.

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٨ .

رابعا: أن الكفر الأكبر صاحبه يحل دمه وماله ولا يرث الكافر قريبه المسلم ولا يرثه الكافر.

أما الكفر الأصغر فلا يوجب شيئا من ذلك.

خامسا: أن الكفر الأكبر يخرج من ملة الإسلام، أما الكفر الأصغر فلا يخرج من ملة الإسلام وصاحبه مؤمن ناقص الإيمان.

(١٥) أصول المكفرات

الكفار نوعان:

النوع الأول: الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام أصلا من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذيين والملاحدة وغيرهم من أصناف الكفرة فهؤلاء جميعهم دل الكتاب والسنة والإجماع على كفرهم ودخولهم في النار وتحريم الجنة عليهم.

النوع الثاني: الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ ثم يصدر منهم ما يناقض ذلك ويزعمون أنهم باقون على دين الإسلام وأنهم من أهله.

فهؤلاء إذا وجدت الأسباب لتكفيرهم وتلبسوا بشيء من ذلك استحقوا هذا الحكم علما أن جميع الأسباب ترجع إلى تكذيب الله ورسوله وعدم التزام دينه.

جميع المكفرات تدخل تحت نواقض أربعة: القول أوالفعل أو الاعتقاد أو الشك وقد ذكرنا ذلك سابقا.

(١٦) آثار الكفر

من آثار الكفر في الدنيا:

(١) الضلال والبعد عن طريق الهداية، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَـٰلًا بَعِيدًا ﴾[النساء ١٦٧] .

(٢) الطبع على القلب فلا يستفيد من وحي الله، قال تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[البقرة ٧] وقال تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء ١٥٥].

(٣) المرتد يقتل ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين بل يرمى في حفرة ويوارى عليه التراب.

(٤) تنتهي ولايته على أولاده ويفرق بينه وبين زوجته ولا يجوز موالاته ولا مناصرته.

أما آثار الكفر في الآخرة: دخول النار والخلود فيها نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

(١٧) حكم مرتكب الكبيرة

اختلف الناس في مرتكب الكبيرة ولهم في ذلك أربعة أقوال:

الأول : أن مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا مخلد في النار في الآخرة، وهذا قول الخوارج وهذا من أصول معتقدهم وقد استحلوا بسببه دماء المسلمين.

الثاني : أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ولكنه في المنزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا، أما في الآخرة فلا يدخل الجنة بل هو خالد مخلد في النار، وهذا هو قول المعتزلة.

الثالث: أنه مؤمن كامل الإيمان وهذا هو قول المرجئة المبني على معتقدهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة.

الرابع: أن صاحب الكبيرة لا يسلب اسم الإيمان على الإطلاق ولا يعطي له على الإطلاق وإنما هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته تحت مشيئة الله في الدار الآخرة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له. وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

قال شارح الطحاوية:

«إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج.... وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب كما وردت به السنة لا كما يقول المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة» [(١)].

---

(١) الطحاوية (٢/ ٤٤٢)

وهـذا هـو مقتضى الوسطية التي تميز بها أهل السنة والجماعة فهم وسط في هذا الباب بـين الخـوارج والمعتزلة وبين المرجئة فلم يسلبوا اسم الإيمان ولم يقولوا إنه مؤمن كامل الإيمان بل قالوا مؤمن ناقص الإيمان في الدنيا أما في الآخرة فأمره إلى الله.

(١٨) النفـــاق

تعـريفه في اللغة: مأخوذ من نافقاء اليربوع لأنه يظهر مدخله ويخفي مخرجه وهو إظهار شيء وإخفاء ضده.

تعـريفه في الاصـطلاح: «هو إظهار ما يوافق الحق وإبطال ما يخالفه. والمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطنا بعد دخوله فيه ظاهرا»[(١)].

قـال ابـن سـعدي –رحمـه الله-: «فالنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن فإن كان في أصل الإيمان كان نفاقا أكبر مخرجا عن الدين وإن كان في فروعه كان حاله بحسب ذلك»[(٢)].

أصناف المنافقين

ضـرب الله مـثلين في أول سـورة البقـرة أوضح فيهما حال صنفين من المنافقين يندرج تحتهما كافة أحوال المنافقين وصفاتهم المختلفة.

(١) المثل الأول :هو المثل الناري، قال الله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[البقرة، الآيتان: ١٧-١٨] .

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى- في تفسير ذلك:

«وفي هـذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع والله أعلم»[(٣)].

---

(١) الإيمان ص (٢٨٤-٢٨٥)

(٢) الرياض الناضرة (٥/ ٥٢٩) مجموع مؤلفات ابن سعدي رحمه الله

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٣)

قال ابن مسعود وناس من الصحابة. «إن ذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر فبينما هو كذلك فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر»

وعن ابن عباس. «هم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك»

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «هذه هي صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا نارا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون»[1]

(٢) المثل الثاني المثل المائي، يقول الله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة، الآيتان: ١٩-٢٠] .

قال ابن كثير -رحمه الله-:«هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى قلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب المطر نزل من السماء حال ظلمات وهي الشكوك والكفر والنفاق (ورعد) وهو ما يزعج القلوب من الخوف فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والجزع»

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٣-٥٦)

قال ابن عباس ﷺ : «كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر... يعرفون الحق ويتكلمون به فهم في قولهم له على استقامة فإن ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا أي متحيرين»[1].

أنواع النفاق

النفاق نوعان: نفاق أكبر ونفاق أصغر.

النوع الأول : النفاق الأكبر الاعتقادي

تعريفه: هو النفاق الاعتقادي وهو ما أبطن فيه الكفر في القلب وظهر الإيمان على لسانه وجوارحه. وهو الذي كان على عهده ﷺ وفي أهله نزل القرآن بتكفيرهم.

أنواع النفاق الاعتقادي

أنواع النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر) منها:

الأولى : تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب ما جاء به.

الثانية : بغضه ﷺ وبغض ما جاء به

الثالثة : إظهار الفرح والسرور بهزيمة وانخفاض دين الإسلام.

الرابعة: إعلان الحزن والكراهية حين ينتصر الإسلام

الخامسة: عدم اعتقاد وجوب تصديق النبي ﷺ ووجوب طاعته.

النوع الثاني : النفاق الأصغر

النفاق الأصغر هو النفاق العملي ويراد به فعل بعض الأعمال التي تخالف مقتضى الإيمان.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٢-٥٦)

وعرفه البعض بأنه هو ما ظهر فيه العمل على وجه يخالف ما يجب أن يكون شرعا.

أنواع النفاق الأصغر

جاءت نصوص السنة تبين بعض أنواع النفاق الأصغر كقوله ﷺ {آيات المنافق أربع: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر}[1].

فهذه بعض أنواع النفاق العملي وكذا قوله ﷺ {أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر}[2]

فالغدر والخيانة والفجور والخصومة وإخلاف الوعد وترك صلاة العشاء والفجر جماعة كل هذا من أنواع النفاق العملي الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام.

خطورة النفاق العملي

يعد النفاق العملي مقدمة للنفاق الأكبر الاعتقادي فهو طريق له فمتى سلكه العبد وصار خلقا له خيف عليه من النفاق الاعتقادي. ولذلك ينبغي للمسلم أن يحذره ويتجنبه لكي ينأى بنفسه وينجو من سخط الله وأليم عقابه.

خطر النفاق والمنافقين على الأمة الإسلامية

لئن كان النفاق في زمن الرسول ﷺ وخلفائه ومن بعدهم له خطره العظيم فإن النفاق في عصرنا هذا أشد، لأن المنافق في ذاك الزمن يتصرف على طبيعته ولم تكن

(١) رواه البخاري (في الفتح ١/ ٨٣-٨٤)، ومسلم برقم (٥٩)
(٢)رواه البخاري (في الفتح ٢/ ١١٨)، ومسلم برقم (٢٥٢)

للنفاق صروح علمية تخطط له وتدافع عنه وترصد له مقدراتها العلمية والمادية والحسية والمعنوية كما هو الحال في عصرنا هذا.

ولذا كانت معرفة النفاق والمنافقين وصفاتهم العامة من أهم ما يجب على المسلمين معرفته حتى يحذروا خطره ويغلقوا على المنافقين الطريق حتى لا يفسدوا حياة المسلمين.

مع أننا نعلم أن المنافقين في عصرنا كان لهم أثر كبير في نقل كثير من الكفر إلى بلاد المسلمين، وذلك كمثال الدعوات القومية والدعوة إلى علمنة الفكر والعلم ومن ثم علمنة الحياة حتى لا يقوم لدين الله قائمة ولا يبقى لدين الله إلا رسوم يتشبث بها بعض الناس.

وقد نجحوا إلى حد ما في بعض مخططاتهم ومنها جعل كل شيء في حياة المسلمين حتى الأصول العقدية والعلمية الإسلامية مجالا للنقاش حتى تكون أمورا شخصية يسهل الخروج عليها.

ومن ثم لا يبقى للدولة الإسلامية أي مجال لتطبيق تعاليم الإسلام والتحاكم إليها، فيكون لكل أحد أن ينشر ما شاء من الأفكار ويجمع حولها ما شاء وعندئذ تنقض عرى الإسلام عروة عروة فلا يبقى له وجود بين المسلمين.

ولكن وعد الله ببقاء الحق المنزل من عنده هو الكفيل بإفساد مخططاتهم كما قال ﷺ {لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله}[1].

ومن هذا المنطلق لا بد لنا من الرجوع إلى منهج القرآن الكريم والسنة لنتعرف منه على صفات المنافقين وطبائعهم ثم نطبقه على واقعنا حتى يتسنى لنا كشفهم وعدم الوقوع في حبالهم الشيطانية [2].

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٢٠)
(٢) نقلا من كتاب المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان (ص١٦٢-١٦٣)

طرق وأهداف المنافقين

للمنافقين أهداف كثيرة منها:

(١) الدعوة إلى فقد الثقة بالصحابة ﷺ نقلة الإسلام ودعاته وذلك بالطعن فيهم وتكفير بعضهم وأيضا باستغلال ما حصل بينهم للطعن فيهم وغير ذلك كطعنهم في أبي هريرة ﷺ وكذا طعنهم في أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وغير ذلك

(٢) القدح في مصادر الدين الإسلامي ومناهج التلقي فيه في الفروع والأصول وهي الكتاب والسنة

(٣) القضاء على دين الإسلام جملة وتفصيلا

(٤) إبطال دلالة النصوص على حقائق الإسلام فروعا وأصولا

(٥) بعث روح الفرقة في التنازع في صفوف المسلمين [١]

صفات المنافقين

ذكرنا فيما سبق خطورة النفاق والمنافقين على أمة الإسلام. لكن ما هي إذا صفات المنافقين لكي يحذرهم المسلم ويكن على بينة من أمرهم؟

أبرز صفات المنافقين المذكورة في الكتاب والسنة هي

(١) يدعون الإيمان وهم كاذبون

(٢) يدعون الإصلاح وهم مفسدون

---

(١) المصدر السابق ص (١٦٢)

(٣) يرمون المؤمنين بالسفه وهم السفهاء الحقيقيون.

(٤) أقوالهم مزخرفة وعباراتهم منمقة وهم ألد الخصماء.

(٥) إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.

(٦) يراءون الناس بأعمالهم.

(٧) لا يذكرون الله إلا قليلا

(٨) لا ينفقون إلا وهم كارهون.

(٩) يقبضون أيديهم عن الإنفاق في وجوه الخير

(١٠) يتثاقلون عن صلاتي العشاء والفجر.

(١١) يخلفون الوعد.

(١٢) يكذبون في الحديث ويغدرون في اللهو وينقضون المواثيق.

(١٣) يأخذون من الدين ما يوافق رغباتهم.

(١٤) يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

(١٥) يوالون أعداء الله من الكفرة .

آثـار النفـاق

من أبرز آثار النفاق ما يلي:

(١) الخلود في النار وبئس القرار بل في الدرك الأسفل من النار قال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة ٦٨] .وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء ١٤٥]

(٢) وجوب اللعنة عليهم ومطاردتهم بها، قال تعالى في حقهم ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾[الأحزاب ٦١].

(٣) عدم قبول الأعمال الصالحة ورفضها وإبطالها قال تعالى ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[التوبة، الآيتان: ٥٣، ٥٤]

(٤) حرمان المنافق من دعاء المؤمنين وصلاتهم عليهم عند موتهم، قال تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[التوبة، الآية، ٨٤]

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر

ذكرنا فيما سبق الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر وتعد هذه الفروق هي نفس الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر ولا حاجة لتكرارها فلتراجع هناك [1]

(١) ولزيادة البحث عن النفاق وما يتعلق به يراجع كتاب المنافقون في القرآن الكريم- للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ورسالة صفة النفاق وذم المنافقين- لأبي بكر العرمابي

المبحث الثالث

القرآن كلام الله

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم

(٢) منشأ القول بخلق القرآن

(٣) افتراق الناس عقيدة في القرآن

(٤) حكم من قال بخلق القرآن

(٥) حكم أهل السنة في الواقفة

(٦) حكم أهل السنة في اللفظية

(٧) أقوال الناس في صفة الكلام لله تعالى

(٨) نصوص أهل السنة في إثبات الكلام.

(٩) الرد على شبه المخالفين لأهل السنة من المعتزلة ومن وافقهم.

(١٠) إثبات النداء بصوت لله تعالى.

المبحث الثالث

القرآن كلام الله

(١) بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى

قبل أن نتحدث عن اختلاف الناس ومذاهبهم في كلام الله تعالى لا بد لنا أن نبين ما عليه سلف الأمة من اعتقاد في كلام الله تعالى. فنقول -وبالله التوفيق-

قال الإمام الطحاوي:

« وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولا وأنزله على رسله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا. وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة. ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[المدثر ٢٦] فلما أوعده الله بسقر لمن قال ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[المدثر ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر »[1]

قال شيخ الإسلام في تقريره لمذهب أهل السنة في القرآن:

« فصل: ومن الإيمان بالله وبكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة.

وأن هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل إذا قرأه الإنسان أو كتبه في

(١) شرح الطحاوي لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٧٥)

المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا وهو كلام الله حروفه ومعانيه وليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف»[1].

إذا فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ عن طريق جبريل – عليه الصلاة والسلام- والمدون بالمصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس وقد تكفل الله بحفظه فلا تمتد له الأيدي بالتحريف أو التبديل لأن الله أراد له الخلود والبقاء باعتباره خاتم الكتب وآخرها الذي أنزل على آخر الرسل محمد ﷺ قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر ٩].

وقد حفظ الله كتابه خلال القرون الماضية رغم عوادي المعتدين وكيد الكائدين وتآمر شياطين الإنس و الجن على إطفاء نور الله ولكن ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[التوبة ٣٢].

القرآن الكريم هو الكتاب الناسخ لجميع الكتب قبله قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة ٤٨].

ولا يقبل الله دينا سوى دين الإسلام ولا يسع أحدا أن يخرج على هذا الدين أو يؤمن بخلافه منذ بعثته ﷺ كما ثبت في صحيح مسلم وغيره {والذي نفس محمد بيده لا

(١) انظر الواسطية وشرحها لشيخنا محمد الصالح العثيمين رحمه الله (٢/ ٩٣-١٠٠)

يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار} [1]

وقال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران ٨٥].

الأوصاف التي وصف بها كتاب الله تعالى

وقد وصف الكتاب بأوصاف كثيرة منها

(١) أنه معجز لا يستطيع احد ان ياتي بمثله او بعشر سور منه أو بسورة واحدة قال تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الاسراء ٨٨]

وقال ايضا ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[هود ١٣]

وقال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[يونس ٣٨]

(٢) أنه حق محض ليس لباطل منه سبيل قال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت، الأيتان ٤١-٤٢]

---

(١) رواه مسلم (١ ٩٩) السلسلة الصحيحة برقم (١٥٧)

(٣) أنه يشتمل على الآيات البينات والدلائل القاطعات على جميع قضايا العقيدة والعبادة والتشريع والأخلاق والسلوك والعلاقات﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل ٨٩][1].

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة لسعيد بن مسفر القحطاني (ص٢٨١-٢٨٢)

(٢) فتنة القول بخلق القرآن

القـول بخلـق القرآن من أعظم الفتن التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية وكان أول مـن أظهـره · الجعـد بـن درهـم سنة ١٢٤هـ، وحمل لواء هذه البدعة بعد الجعد بن درهم الجهم بن صفوان سنة ١٢٨هـ.

وفي أوائل القرن الثالث أظهر بشر المريسي سنة ٢١٨هـ وأحمد بن دؤاد ٢٤٠هـ وزينها ابـن أبـي دؤاد للخليفة المأمـون حتى اعتنقها وحمل الناس عليها وأكرههم على اعتقادها وذلك عام ٢١٨هـ ثم هلك في هذه السنة.

ثـم خلفـه أخـوه المعتصـم بـالله وورث الدعـوة إلى هـذه الـبدعة حتـى مـات سنة ٢٢٧هـ ثم ورثها أخوه الواثق حتى مات سنة ٢٣٢هـ.

ثم ولى الخلافة المتوكل فرفع الفتنة عام ٢٣٤هـ.
وقـيل نصر الله الإسلام بأبي بكر يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم المحنة، وقد كان موقـف الإمـام أحمـد بـن حنبل موقفا عظيما في فتنة القول بخلق القرآن قمع الله به هذه الفتـنة إذا صـبر وصـابر وتحمـل الأذى ورفـض هـذا القـول ورده على أصحابه فسجن وضرب وأوذي وخذله الكثير من العلماء والصالحين ولكنه ثبت وحيدا كالجبل الراسي فأحيا الله به السنة وأمات به البدعة وانقشعت الغمة عن المسلمين على أيدي المتوكل بالله العباسي، فرحمه الله ورحم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل .

(٣) افتراق الناس عقيدة في القرآن الكريم

عندما ظهرت فتنة القول بخلق القرآن التي تعني تعطيل الله ﷻ عن صفة الكلام وأنه لم يتكلم ﷻ لا بالقرآن ولا بغيره، وهذا مما لا شك فيه من أعظم الكفر وأشنعه. انقسم الناس في هذه الفتنة إلى ستة أقسام

الأول : من قال بأن القرآن مخلوق وهم المعتزلة والجهمية

الثاني: من قال بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وهم أهل السنة والجماعة وقد ذكرنا عقيدتهم في ذلك.

الثالث: الواقفة الذين قالوا لا نقول مخلوق ولا نقول غير مخلوق.

الرابع: اللفظية الذين قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق ولكن ألفاظنا به مخلوقة.

الخامسة: وهم الأشاعرة حيث قالوا بأن القرآن عبارة عن كلام الله وليس هو كلامه.

السادسة: وهم الكلابية حيث قالوا إنه حكاية عن كلام الله [1]

(١) ولمعرفة هذه الفتنة وأقسام الناس فيها انظر في ذلك منهاج السنة لشيخ الإسلام (١/ ٢١) (٢/ ٧٨)، والصواعق المرسلة (٢/ ٢٨٦)، وشرح الطحاويه (١/ ١٩٥ ٢٠٤)

(٤) حكم من قال بخلق القرآن

وقد قرر علماء أهل السنة أن من قال بخلق القرآن فهو كافر فقد قال الإمام مالك بن أنس : «من قال به -أي بخلق القرآن- فاقتلوه فهو كافر» وقد ذكرنا كلام الطحاوي في كفر من أنكر أن القرآن كلام الله.

وقال أيضا الإمام مالك: «من قال القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه» وبهذا أيضا قال عبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح وغيرهم.

وقال عبد الله بن المبارك: «سمعت الناس منذ تسع وأربعين سنة يقولون: من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثا البتة، فإن قلت ولم ذلك، قال لأن امرأته مسلمة ومسلمة لا تكون تحت كافر»

وقال أيضا علماء أهل السنة فيمن قال بخلق القرآن بعد القول بكفره: «لا ينكحون ولا يصلى عليهم ولا تعاد مرضاهم ولا تشهد جنائزهم وأن موالاة الإسلام انقطعت بينهم وبين المسلمين ولا يصلى خلفهم » [1].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٣٤٥-٣٥١)

(٥) حكم أهل السنة في الواقفة

(القائلون: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق)

قضى السلف الصالح على الواقفة بأن من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام بل علم أنه كان جاهلا بسيطا فهنا تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى و إلا فهو شر من الجهمية [١].

(٦) حكم أهل السنة في اللفظية

أما اللفظية الذين يقولون بأن لفظي بالقرآن مخلوق فالمشهور عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة من أئمة الحديث أن اللفظية جهمية.

وقال أئمة أهل السنة بالتفصيل في الحكم على اللفظية فقالوا: إن اللفظ يطلق على معنيين:

أحدهما: الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام الله ليس فعلا للعبد ولا مقدورا له.

الثاني: التلفظ وهو فعل العبد وكسبه وسعيه، فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني وهذا بدعة أخرى من بدع الاتحادية [٢].

---

(١) معارج القبول (١/ ٢٤٣)

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٥٤)

(٧) أقوال الناس في صفة كلام الله

افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على المنفوس من المعاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أومن غيره وهذا قول الصائبة والمتفلسفة.

ثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه فهو ليس له معنى يقوم بذاته سبحانه بل هو شيء من مخلوقاته كالسماء والأرض والناقة والبيت وما أشبه ذلك فليس معنى قائما في نفسه ، فكلام الله حروف خلقها الله ﷻ وسماها كلاما له كما خلق الناقة وسماها ناقة الله وكما خلق البيت وسماه بيت الله .

ولهذا كان الكلام عندهم عبارة عن حروف وأصوات خلقها الله ﷻ ونسبها إليه تشريفا وتعظيما وهذا هو قول المعتزلة والجهمية.

ثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وهذا هو قول ابن كلاب ومن وافقه كلأشعري وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام.

وخامسها: أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما وهذا هو قول الكرامية وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته وهذا يقول به صاحب (المعتبر في الحكمة) ويميل إليه الرازي.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي وغيره.

وتاسعها: أنه لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن كلام الله قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما وهذا المأثور عن أئمة أهل السنة.

(٨) نصوص أهل السنة في إثبات صفة الكلام لله تعالى

جاءت نصوص الكتاب والسنة المستفيضة في إثبات الكلام لله تعالى على الوجه اللائق به وقد ذكرنا قول أهل السنة في إثبات هذه الصفة لله تعالى.

أما نصوص الكتاب فمنها:

(١) قوله تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ... ﴾ [البقرة ٢٥٣].

(٢) وقوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء ١٦٣] فأكده بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح.

(٣) وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[الأعراف ١٤٣].

(٤) وقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴾[مريم، الآيتان:٥١-٥٢].

والآيات في إثبات هذه الصفة كثيرة جدا. والقرآن من كلامه كما هو مذهب أهل السنة كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[التوبة ٦].

أما أدلة السنة فهي أيضا كثيرة منها:

ما جاء في صحيح البخاري عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ...}[1].

وفيه عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى {يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار}[2].

وهذا فيه دليل لأهل السنة في إثبات أن الله تعالى يتكلم بصوت بخلاف من قال بأنه قائم بذاته لا ينفك عنه.

وصفة الكلام لله تعالى عند أهل السنة هي من الصفات الذاتية والفعلية فهو سبحانه يتكلم متى شاء إذا شاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال الله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى ١١].

ولا يجوز عند أهل السنة السؤال عن كيفية كلام الله كما لا يجوز تشبيه كلام الله بكلام خلقه وهكذا القول في بقية أسماء الله وصفاته.

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٣٩)، ومسلم برقم (١٠١٦)
(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٣٠)، ومسلم برقم (٢٢٢)

(٩) الرد على شبه المخالفين لأهل السنة من المعتزلة ومن وافقهم

ذكرنا فيما سبق قول المعتزلة ومن وافقهم في القرآن وقولهم بأنه مخلوق وقد استدل المبتدعة من المعتزلة وغيرهم بأدلة على ما زعموه من القول بخلق القرآن، ومن هذه الأدلة:

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[الزمر ٦٢] والقرآن شيء فهو مخلوق كجميع الأشياء.

واستدلوا أيضا بقوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[الزخرف ٣] فقالوا كل مجعول مخلوق لأن جعل بمعنى خلق.

واستدلوا أيضا بقوله تعالى ﴿ نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ... ﴾[القصص ٣٠]. قالوا إن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها.

ومن قولهم أيضا أن الله أضاف الكلام إليه إضافة تشريف وقد ذكرنا قولهم في صفة الكلام.

فهذه هي جملة ما احتج به المعتزلة على القول بخلق القرآن.

الرد عليهم

أولا: استدلالهم بآية سورة الرعد ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[الزمر ٦٢]

نقول: بأن عموم (كل) في كل موضع بحسبه ويعرف ذلك بالقرائن كقوله تعالى ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ ﴾[الأحقاف ٢٥] فمساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح وذلك لأن المراد ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ ﴾ يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير.

وكذلك كقوله تعالى حكاية عن بلقيس ﴿ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[النمل ٢٣] المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام.

أما معنى قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ أي كل شيء مخلوق وكل موجود سوى الله فهو مخلوق فدخل في هذا العموم أفعال العباد ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره لأنه سبحانه هو الموصوف بصفات الكمال وصفاته ملازمة لذاته المقدسة

ثانيا: الرد على الشبهة الثانية:

قوله تعالى﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[الزخرف ٣] نقول إن كلمة (جعل) قد تتعدى إلى مفعول واحد وهنا يكون معنى جعل خلق، كقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾[الأنعام ١] أي وخلق الظلمات والنور، وقوله تعالى

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنبياء ٣٠] أي وخلقنا من الماء كل شيء حي.

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾[الأنبياء ٣١] وخلقنا على الأرض جبالا رواسي حتى لا تضطرب بهم الأرض، فالجبال خلقها الله تعالى لتثبت بها الأرض.

. وقد تأتي (جعل) لتتعدى إلى مفعولين وهنا لا تكون بمعنى خلق كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾[النحل ٩١].

وكقوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[الإسراء ٣٩] وكقوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾[الزخرف ١٩].

وهكذا قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[الزخرف ٣] فليس معنى جعل هنا خلق كما زعم المعتزلة.

ثالثا: استدلالهم بقوله تعالى ﴿ نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ... ﴾[القصص ٣٠] وقولهم بأن الله تعالى خلق الكلام في الشجرة فسمعه موسى منها فهذا من أبطل الباطل لأن الله تعالى قال ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ... ﴾

والنداء: هو الكلام من بعد فسمع موسى –عليه الصلاة والسلام- النداء من حافة الوادي ثم قال ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ أي أن النداء كان في البقعة المباركة من الشجرة كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت يكون (من البيت) لابتداء الغاية لأن البيت هو المتكلم ولو كان الكلام مخلوقا في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[القصص ٣٠].

وهل قال ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ غير رب العالمين [١].

رابعا: قول المعتزلة ومن وافقهم أن الله أضاف إليه الكلام إضافة تشريف، يقال لهم:

إن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف وهي مخلوقة له كبيت الله وناقة الله بخلاف إضافة المعاني كعلم الله وقدرته وعزته وجلاله وكبريائه وكلامه وحياته وعلوه وقهره فإن هذا كله من صفاته لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقا .

والوصف بالمتكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص ولهذا نفاه الله عن العجل في قصة موسى وقومه وأبان الله عن نقصه وعجزه وعدم ألوهيته وذلك لعدم كلامه، قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾[الأعراف ١٤٨].

وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه ٨٩] . فعلم أن نفي رجع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٨١-١٨٣)

وغاية شبهة المعتزلة ومن وافقهم أنهم يقولون يلزم من كلامه سبحانه التشبيه والتجسيم.

ويقال لهم: إذا قلنا أنه يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم فنحن نؤمن بشهادة الجوارح يوم القيامة وكلام الأيدي والأرجل لكن لا نعلم كيف تتكلم قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[يس ٦٥] .

وكذا تسبيح الشجر والعصى والطعام وسلام الحجر كل ذلك حاصل وليس لهذا فم يخرج منه الصوت، وقد جاءت النصوص أن الله يكلم أهل الجنة قال تعالى ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[يس ٥٨] وقد ذكرنا جملة من الأدلة على إثبات كلام الله تعالى.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- أننا إذا أنكرنا أن الله لم يتكلم فقد أبطلنا الشرع والقدر. أما الشرع فإن الرسالات إذا جاءت بالوحي والوحي كلام مبلغ إلى الرسل فإذا نفينا الكلام انتفى الوحي وإذا انتفى الوحي انتفى الشرع.

أما القدر فلأن الخلق يقع بأمره بقوله كن فيكون كما قال تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس ٨٢] .

(١٠) إثبات النداء بصوت لله تعالى

قال تعالى ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴾[مريم ٥٢] وقال تعالى ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ ... ﴾[الشعراء ١٠، ١١] وقال تعالى ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف ٢٢] وقال تعالى ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾[القصص ٦٢] وقال تعالى ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[القصص، ٦٥] .

في هذه الآيات إثبات النداء لله تعالى، وقد أخبر الله تعالى في القرآن بندائه لعباده من أكثر من عشرة مواضع، والنداء لا يكون إلا بصوت باتفاق أهل اللغة وسائر الناس كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وقد استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة أهل السنة أنه ﷻ ينادي بصوت نادى موسى بصوت وينادي عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بصوت وقد ذكرنا أدلة على ذلك من السنة في إثبات صفة الكلام لله تعالى.

وهذه الآيات تدل على أن الله تعالى يوصف بالصفات الاختيارية الفعلية، فإنه سبحانه لما ذكر النداء فيها وقته بظرف محدود فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداء إلا فيه.

وهذا يدل لصحة مذهب أهل السنة من أن صفة الكلام صفة ذات وفعل. فالله جلا وعلا لم يزل متكلما إذا شاء وكيف شاء.

فالنداء حصل حين أكل آدم وحواء من الشجرة ولم يحصل لهما قبل ذلك ونداء موسى -عليه الصلاة والسلام- حينما جاء لميقات ربه ولم يحصل قبل ذلك، وهكذا النداء في يوم القيامة في يوم معين.

المبحث الرابع

القضاء والقدر

أولا : التعريف بهما في اللغة والاصطلاح

ثانيا : الأدلة على الإيمان بالقضاء والقدر.

ثالثا : حكم الإيمان به ومرتبته.

رابعا : فوائد وثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

خامسا : مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

سادسا : مخالفو أهل السنة في القضاء والقدر.

سابعا : الرد على الطوائف التي ضلت في مسألة القدر

ثامنا : مسائل في القدر

المبحث الرابع
القضاء والقدر

أولا : التعريف بهما في اللغة والاصطلاح

القدر في اللغة يقال قدر يقدر قدرا فهو قادر وقدير ومقتدر فهو بمعنى التقدير.
أما القضاء في اللغة فهو الحكم.

تعريفهما في الاصطلاح:

القدر في الاصطلاح هو «ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده -تعالى- وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها» (١).

وقال شيخنا في تعريفه «القدر هو تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته» (٢)

القضاء في الاصطلاح :

قيل في تعريفه « القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل » (٣) قال ابن حجر « وقالوا: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل » (٤).

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٤٨)
(٢) شرح الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/ ١٨٨)
(٣) القضاء والقدر للشيخ عمر بن سليمان الأشقر ص ٢٧
(٤) فتح الباري (١١/ ٤٨٦)

قلـت: وبهـذا التعـريف يكـون القضـاء سابقا للقدر عند هؤلاء العلماء ولذلك قالوا في تعريف القدر: « هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضى السابق »[1].

قال ابن حجر: القدر هو جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله.

العلاقة بينهما:

ذكـرنا فـيما سبق أن القضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر فهما إن اجـتمعا افترقـا وإن افترقا اجتمعا فإذا قيل هذا قدر الله فهذا يشمل القضاء، وإذا قيل هذا قضاء وقدر؛

فالتقدير هـو مـا قـدر الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه، أما القضاء فهو ما قضـى الله ﷻ في خلقـه مـن إيجـاد وإعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقا على القضاء[2].

(١) القضاء والقدر للأشقر ص ٢٧ .

(٢) شرح الواسطية لشيخنا محمد الصالح العثيمين رحمه الله (٢/ ١٨٨)

ثانيا : الأدلة على الإيمان بالقضاء والقدر

(١) أدلة الكتاب :

نصوص الكتاب كثيرة جدا منها:

قول الله تعالى ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[الأحزاب ٣٨]

وقوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر ٤٩]

وقوله تعالى ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾[المرسلات ٢٣]

وقوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان ٢].

(٢) أدلة السنة ، من ذلك :

١. حديث جبريل ﷺ الطويل وفيه { وتؤمن بالقدر خيره وشره } [١].

٢. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها} [٢].

٣. وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال: {لا يأتي ابن آدم النذر بالشيء لم يكن قد قدر الله له ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له فيستخرج الله تعالى به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يؤت عليه من قبل} [٣].

٤. وعن أبي هريرة ﷺ أيضا قال : قال رسول الله ﷺ {المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان (١/ ٣٨)
(٢) رواه البخارى – فتح البارى (٨/ ١٥٣)
(٣) رواه البخاري – فتح الباري (١٠/ ٤٣٧)، ومسلم برقم (١٦٤٠)

واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قد قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان}[1].

٥. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقول النبي ﷺ له { .... واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك رفعت الأقلام وجفت الصحف} [2].

٦. عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: {كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء} [3].

(٣) الإجماع :

أجمع المسلمون على الإيمان بالقدر خيره وشره من الله وممن نقل الإجماع على ذلك النووي حيث قال «وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله ﷻ » [4].

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤)
(٢) رواه الترمذى برقم (٢٥١٦) وصححه الألبانى فى صحيح الترمذي برقم (٢٠٤٣)
(٣) رواه مسلم فى القدر برقم (١٦) وفتح الباري (١١/ ٤٨٩)
(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ١٥٥).

ثالثا: حكم الإيمان به ومرتبته.

الإيمـان بالقدر واجب ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة كما قال النبي ﷺ {أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره}[(١)].

رابعا: فوائد وثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

عقيدة الإيمـان بالقضـاء والقـدر ذات أثـر عظـيم في حـياة المسلم يترتب عليها سـعادته في الدنـيا والآخـرة، ففـي الدنـيا لا يحـزن علـى ما فاتـه ولا يفرح بما أدركه من حظوظ الدنيا وإنما تراه مجتهدا في تتبع محاب الله ومراضيه فهو حريص على الطاعة ويبعد كـل الـبعد عـن المعصـية يدفـع أقـدار الشر بالخير وأقدار الجوع بالطعام وأقدار العطش بالشرب وأقدار المرض بالدواء وأقدار الفقر بالسعي في طلب الرزق يأخذ بالأسباب ولا يعـتمد علـيها بـل يـتوكل علـى ربه ﷻ ولذا لما بلغ الصحابة هذه المنزلة العالية ارتاحت نفوسـهم واطمأنـت خواطـرهم وأثمـرت حـياتهم ثمارا يانعة، فانطلقوا في أرجاء الدنيا يبلغون شرع الله جل وعلا.

ولعل من أبرز ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ما يأتي:

(١) الشـعور بالارتـياح والطمأنيـنة لأن المؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ومـا أخطـأه لم يكـن ليصـيبه كـل أقـدار الله تجـري بأمره وتدبيره وحكمته والمحـروم مـن هذه العقيدة لا يصمد أمام الشدائد ولا يتحمل ظروف الحياة وشدة الابتلاء بل تطيش سهامه فيقع في المحاذير الشرعية.

---

(١) سبق تخريجه ص ١٤٥ .

(٢) السلامة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تفتك بالمجتمعات كالحسد والظغينة والحقد لأن المؤمن يعلم أن هذا الرزق الذي حصل عليه فلان من الله ليس من أحد غيره فهنا تطمئن نفسه ويرتاح خاطره.

(٣) التوكل الصادق على الله بالاعتماد الجازم عليه وحده ﷻ لأن العبد يعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدر الله وأن الناس لا يملكون لأنفسهم فضلا عن غيرهم شيئا.

(٤) التسليم للخالق العظيم وعدم الاعتراض على أحكامه بل يتقبل المؤمن ذلك بصدر رحب وهنا يطمئن ويرتاح ويزول عنه القلق والاضطراب.

(٥) علو الهمة وعدم اليأس والقنوط بل يدفعه الإيمان بالقدر لمضاعفة الجهود واستنفاد الطاقة لتحصيل أموره الخاصة والأمور العامة للمسلمين.

(٦) معرفة الإنسان قدر نفسه فلا تفخر إذا عمل الخير لأن كل شيء بقضاء الله وقدره.

(٧) تهون المصائب على العبد فمتى جزم أنها من عند الله هانت عليه كما قال تعالى ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾[التغابن ١١] . قال علقمة -رحمه الله- « هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»[(١)] .

إلى غير ذلك من الحكم العظيمة التي تدفع العبد لمزيد من الإيمان والتصديق والصبر.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٥)

خامسا: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر

إن مما يجب التنبيه عليه أن أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس أخذا بنصوص الكتاب والسنة بخلاف غيرهم ممن ضل في الأخذ بهما ولذلك كان ولا بد من بيان عقيدة أهل السنة الجماعة في مسألة القضاء والقدر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر:

« مـذهب أهـل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكـان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أن الله خالـق كـل شـيء، وربه، ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد وغير أفعال العباد.

وأنـه سـبحانه مـا شـاء كـان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته، وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئا إلا هو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم وما كان، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقـد دخـل في ذلك أفعال العباد، وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك.

وكـتب مـا يصـيرون إلـيه مـن سـعادة، وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرتـه على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون »

إلى أن قال رحمه الله:

« وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده »[1].

وقال أيضا رحمه الله :

« ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها – مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء- أن العباد لهم مشيئته وقدره ويفعلون بمشيئتهم، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه –مع قولهم، أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾[المدثر الآيات (٥٤-٥٦)] »[2].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٤٤٩-٤٥٠)

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩)

سادسا: مخالفو أهل السنة في القضاء والقدر

خالف أهل السنة والجماعة في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر فرقتان وهما الجبرية والقدرية.

أولا: الجبرية [(١)]

وهم قد غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته وأنكروا أن يكون للعبد فعل بل قالوا: إن العباد ليسوا بحاجة إلى العمل ولا إلى الأخذ بالأسباب لأن العباد مجبورون على أفعالهم وأن الإنسان لا قدرة له بل هو كالريشة في مهب الريح.

وترتب على هذه العقيدة الفاسدة تعطيل قدرة الإنسان واستسلامه لشهواته وغرائزه ووقوعه في الذنوب والمعاصي وكذا ترك الأعمال الصالحة وعدم الدعاء وفعل الأسباب المنجية من عذاب الله فالذي قدره الله كائن لا ينفع معه شيء عند هؤلاء، ولذلك تراهم عطلوا الحدود وأقروا الظلم ووقعوا في كثير من المصائب التي دمرت مجتمعاتهم وفتكت بهم.

كما أن هذه الطائفة ظنت بربها أسوأ الظنون ونسبته إلى أقبح الظلم وأنه يعاقب على الفعل وهو الذي أمر به وجر العبد إليه فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

---

(١) الجبر لغة الالزام، والجبرية من فرق الضلال كما سنذكره وهم من أتباع الجهم بن صفوان سموا بهذا الاسم لأنهم قالوا نحن مجبورون على أفعالنا

ثانيا : القدرية

وهـم نفـاة القدر الذين يزعمون أن الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها بل لا يعلمهـا إلا بعـد وقـوعها. وإذا أمـر الله العباد ونهاهـم فهو لا يعلم من يطيعه منهم ومن يعصيه فإذا أطاعوه أو عصوه علم بعد ذلك السعداء منهم والأشقياء.

ويقولـون أيضـا أن العـبد مسـتقل بالإرادة والقدرة وليس لمشيئة الله وقدرته في ذلك أثر، وأفعال العباد عندهم ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها بل وذنوب العباد عندهم ليست واقعة بمشيئة الله.

وقـد نشأ هذا القول في أواخر عهد الصحابة وأول من قال به معبد الجهني ونقله عـنه رؤس الاعتـزال كواصـل بـن عطاء وعمرو بن عبيد وقد عرفوا بعد ذلك بالقدرية وهم المعتزلة[1].

(١) انظر فى التعريف بهـم مقالات أبى الحسن الأشعرى (٢/ ٢٢١) وشرح الأصول الخمسة للقاضى عـبد الجـبار (ص٢٩٩) والمعتـزلة وأصـولهم الخمسـة وموقف أهل السنة منها للدكتور عواد المعتق (ص١٥١-١٥٩).

سابعا: الرد على الطوائف التي ضلت في مسألة القدر

لا شك أن دلالة الكتاب والسنة والفعل الصحيح والفطرة المستقيمة كلها حجج وبراهين على بطلان ما تعتقده الجبرية والقدرية، ولهذا تصدى أهل السنة والجماعة لما منحهم الله من قوة لفهم كتابه وسنة رسوله تصدوا لمزاعم من ضلوا في القدر وردوا على مذهبهم وبينوا أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وبهذا ردوا على الجبرية، ومن أدلة القرآن على إثبات المشيئة للعبد ما يأتي:

(١) دلالة القرآن في الرد على الجبرية:

قال تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾[النبا ٣٩]

وقال تعلى ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[البقرة ٢٢٣]

وجه الدلالة من الآيتين ان الله أثبت للعباد مشيئة في أفعالهم وعلاقاتهم مع زوجاتهم وهذا ظاهر واضح.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[التكوير الأيتان : ٢٩،٢٨] .

فأثبت الله تعالى للعباد مشيئة ولكن هذه المشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى.

وقوله تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف الآية : ٢٩]

ومن أدلة القرآن أيضا قوله تعالى ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت ٤٦] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾[الزمر ٤١].

وقال ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء ٧٩].

وقال أيضا ﷻ ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
[الأعراف ٢٨].

فهـذه الآيـات وغيرهـا صريحة في الرد على الجبرية وذلك بإثبات أن العبد ليس بمجبور فالعبد يفعل الطاعات والمعاصي بقصده واختياره ولا يخرج عن قضاء الله وقدره.

(٢) دلالة السنة في الرد على الجبرية:

عن جابر ﷺ قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن: فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ قال: ففيم العمل؟ {قال: اعملوا فكل ميسر} [(١)].

وفي روايـة {مـا منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له} [(٢)].

(١) رواه مسلم (٢٦٤٨)
(٢) رواه البخاري (٤٩٤٩) ومسلم (٢٦٤٧)

والأحاديث التي جاءت في إبطال قول الجبرية كثيرة وشهيرة فقد جلد رسول الله ﷺ في الخمر وقطع يد السارق ورجم في الزنا فلو كان هؤلاء مجبورين على معاصيهم لما أقيمت فيهم الحدود ولكن الجبرية كذبوا على الله وزوروا الباطل فالله أعظم وأجل من أن يجبر أحدا على ذنب ثم يعذبه عليه فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(٣) دلالة العقل في الرد على الجبرية.

من المعلوم أن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة يفعل بهما ما يريد ويترك ما يريد وأنه يفرق بين ما وقع بإرادته ويتحمل كامل مسؤوليته وبين ما وقع بغير اختياره مثل الأكل ناسيا في نهار رمضان فهذا لا يفسد الصوم لكن لو تعمد فأكل فهذا تناول مفطرا باختياره فيفسد صومه .

وهذه المشيئة للعبد داخلة ضمن مشيئة الله وقدرته كما قال تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ﴾[التكوير ٢٩]. فالآية أثبتت مشيئة داخلة تحت مشيئة الرب ﷻ.

(٤) الردود على القدرية.

رد أهل السنة والجماعة على القدرية بالآيات والأحاديث التي جاءت في إثبات الإيمان بالقضاء والقدر التي مر ذكرها ومن هنا أنكروا عليهم إنكارا شديدا حتى إن الصحابة نهوا الناس عن الاستماع لهذه الفئة استجابة لخبر النبي ﷺ الدال على وجوده الذي رواه ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ {لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر ، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم} (١).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠٣٩)

وقـد نـص بعـض الأئمـة علـى كفر هذه الطائفة وممن نص على كفرهم الإمام مالك والشافعي وأحمد.

(٥) شبهة القدرية.

ذهـبت القدريـة إلى مـا ذهـبوا إليه بقصد تنزيه الله ﷻ فزعموا أن الله تعالى شاء الإيمـان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر وحجتهم أن ذلك يؤدي للظلم إذ كيف يشاء الله الكفـر من الكافر ثم يعذبه عليه وهؤلاء كما يقول الطحاوي كالمستجير من الرمضاء بالـنار لأنهـم هـربوا مـن شيء فوقعوا فيما هو شر منه ويلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله وهذا من أقبح الاعتقاد.

ثامنا: مسائل في القدر

المسألة الأولى

لا يلزم من الإيمان بالقدر أن يكون في فعل الله شر

لا يلـزم من الإيمان بالقدر خيره وشره أن يكون في فعله ﷻ شر محض ولهذا كان النبي ﷺ يقـول في دعـاء الاسـتفتاح {والخير بيديك والشر ليس إليك} فإنه لا يخلق شرا محضا بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير ولكن قد يكون فيه شر جزئي إضافي فأما شر كلي أو شر مطلق فالرب منزه عنه.

وهذا هو الشر الذي ليس إليه، وأما الشر الجزئي الإضافي فهو خير باعتبار حكمته، ولهذا لا يضاف إليه الشر مفردا قط بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات لقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[الزمر ٦٢]

وإما أن يضاف إلى السبب كقوله تعالى ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[الفلق ٢] وإما أن يحذف فاعله كقول الجن ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[الجن ١٠].

وخلاصة الأمر في هذه المسألة أن يقال:

الشـر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له لكن باعتبار المقدور له، فتقدير الله ليس بشر بل هو خير حتى وإن كان لا يلائم الإنسان ويؤذيه ويضره لكن باعتبار المقدور، فالمقدور إما أن يكون خيرا أو يكون شرا، فالقدر خيره وشره يراد به المقدور خيره وشره.

مثال ذلك قوله تعالى ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الروم ٤١] .

ففي الآية يبين ﷻ ما حدث من الفساد وسببه والغاية منه، فالفساد شر وسببه هو عمل الإنسان والغاية حصول الرجوع والإنابة والإخبات لله تعالى.

فالفساد لا يحبه الله تعالى ولا يحب أهله كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة ٦٤] لكن قدر الله تعالى ظهوره في البر والبحر لحكمة فهو نفسه شر لكن لحكمة عظيمة بها يكون تقديره خيرا وهكذا سائر المعاصي هي من تقدير الله لحكمة عظيمة.

المسألة الثانية

يحب ما لا يريد ويريد ما لا يحبه

يحب ﷻ ما لا يريده ويريد ما لا يحبه وذلك أن المراد قد يراد لغيره فيريد الأشياء المكروهة لما في عاقبتها من الأشياء المحبوبة ويكره فعل بعض ما يحبه لأنه يفضي إلى ما يغضبه.

وهو ﷻ يحب المتقين والمحسنين والتوابين وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء وهذا أمر معروف متقرر عند أهل الفطر السليمة والعقول الصحيحة.

مثال ذلك: خلق إبليس يؤدي إلى محاب كثيرة فالعبد الذي يغويه إبليس فيقع في المعصية ثم يستغفر الله ثم يتوب إليه ويتضرع بين يديه ليغفر له ذلته ويقبل منه توبته فهذا أمر محبوب لله تعالى.

المسألة الثالثة

العباد فاعلون حقيقة

العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة لا مجازا وهذا قول السلف و الأئمة من بعدهم وهو الحق الذي دل عليه المنقول والمعقول كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فإن الله تعالى وصف العبد بأنه يعمل ويفعل وقد جاءت النصوص بإثبات فعل العبد فآيات القرآن كثيرة ما يرد فيها (يعملون) (يفعلون) (يؤمنون) (يكفرون) (يتفكرون) (يحافظون) (يتقون) وهذا كله دليل على ثبوت الفعل من العبد على وجه الحقيقة. وخالف أهل السنة في هذه المسألة القدرية من المعتزلة والجبرية من الجهمية.

فقالت القدرية: إن العباد فاعلون حقيقة والله لم يخلق أفعالهم . وقالت الجبرية: إن الله خالق أفعالهم وليسوا فاعلين حقيقة لكن أضيف الفعل إليهم من باب المجاز و إلا فالفاعل الحقيقي هو الله.

ولا شك أن هذا القول باطل كما ذكرناه آنفا يؤدي إلى وحدة الوجود وأن الخلق هو الله ثم يؤدي إلى قول من أبطل الباطل لأن العباد منهم الزاني ومنهم السارق ومنهم شارب الخمر وغيره فحاشا أن تكون هذه الأفعال منسوبة إلى الله [1].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ولم يكن من السلف والأئمة يقول إن العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر ولا قال أحد منهم إنه فاعل مجازا بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله » [2].

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٤١)
(٢) فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٤٠٩-٤٦٠)

المسألة الرابعة
العباد لهم مشيئة

مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه كما قال تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[الإنسان ٣٠].

وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد فإنها لا تكون إلا بمشيئة الرب ﷻ . قال تعالى ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾[التكوير ٢٨] وهذا فيه الرد على الجبرية الذين لم يثبتوا للعباد المشيئة ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير ٢٩] ففيها الرد على القدرية الذين لم يثبتوا لله مشيئة وجعلوا العباد هم الفاعلون لأفعالهم دون تدخل لمشيئة الله تعالى في ذلك.

المسألة الخامسة
العباد مخلوقون هم وأفعالهم

ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد ، فالعبد مخلوق والله خالق ذاته وصفاته وأفعاله، وقد دل القرآن على ذكر أفعال العباد التي بقلوبهم وجوارحهم وأنه ﷻ يحدث من ذلك ما يشاء قال تعالى في إثبات خلق العبد وخلق عمله ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[الصافات ٩٦].

فهو سبحانه خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وساكن وسكونه، وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا والله ﷻ خالقها وخالق حركتها وسكونها، ومن يضلل

الله فلا هادي له ومن يهدي الله فهو المهتدي قال تعالى ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[الأعراف ٣٠] .

المسألة السادسة

الإيمان بالقدر خيره وشره لا يتضمن الإيمان بكل مقدور، بل المقدور منه ما هو مقدور كوني ومنه ما هو مقدور شرعي

فالمقـدور الكوني: هو أن يقدر الرب ﷻ على العبد شيئا يكرهه كأن يمرضه مثلا أو يصاب في أهله وولده ونفسه فهذا مقدور كوني لا بد أن يقع رضي العبد أم لم يرضى.

والمقدور الشرعي: هو ما قد يفعله الإنسان وقد لا يفعله كأن يفعل طاعة مأمور بها شرعا أو يقع في معصية منهي عنها شرعا فهذا باعتبار الرضى فيه تفصيل؛

إن كـان مـا فعلـه الإنسان طاعة لله فهنا يجب الرضى به وإن كان معصية وجب سخطه وكراهته والقضاء عليه.

فـإذا وقع الإنسان في معصية الكفر فلا نرضى بالكفر منه لكن نرضى بكون الله أوقعه.

المسألة السابعة

هل الإنسان مسير أم مخير؟

يلاحـظ أن بعـض النـاس يجيب بأنـه مسير وهذا خطأ والبعض يجيب بأنه مخير وهذا خطأ بل الأمر يحتاج إلى تفصيل.

فالعبد مخير باعتبار أن له مشيئة يختار بها وله قدرة يفعل بها والقرآن مليء بالشواهد على ذلك ومنها ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف ٢٩] وقال تعالى ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[البلد ١٠] .

والعبد مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله وتصرفاته وحركاته وسكناته داخل في القدر لا يخرج عما قدره الله عليه كما قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس ٢٢] وقوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[القصص ٦٨] .

وقد جمع الله بين هذين الأمرين كونه مسيرا وكونه مخيرا في قوله تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[التكوير، الأيتان:٢٨-٢٩] .

المسألة الثامنة

مراتب القدر

للقدر مراتب أربع ويسميها بعضهم بأركان القدر وهي المدخل لفهم مسائل القدر المتشابكة وبعضها مرتبط ببعض لذا لا يتم إيمان المرء إلا إذا حققها كلها واكتمل إيمانه بها وعلى قدر الإخلال بها بقدر ما يختل الإيمان وهي: « العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق والإيجاد » وإيضاحها كالتالي:

المرتبة الأولى: العلم.

لا بـد مـن الإيمـان بـأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلا فكل ما يتعلق بأفعاله وبأفعـال عـباده صـغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها قديمها وحادثها فعلمه سبحانه محيط بما كـان ومـا سيكون ومـا لم يكن لو كان كيف يكون، وهو سبحانه يعلم الموجود والمعدوم والممكـن والمستحيل، علـم أحـوال الخلق وحركاتهم وسكناتهم وأهل الجنة منهم وأهل النار.

ولم يخالف في هذه المرتبة إلا مجوس هذه الأمة وهم القدرية [1].

من أدلة هذه المرتبة:

أولا: دلالة القرآن:

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الحشر ٢٢] وقوله تعالى ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[سبأ ٣].

وقوله ﷻ ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنعام ٥٩].

(١) انظر تفصيل مراتب الإيمان بالقدر في شفاء العليل (ص ٦١)، ومعارج القبول للحكمي (٢/ ٣٢٨).

ثانيا: أما دلالة السنة فمنها:

مـا رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سئل النبي ﷺ عن أبناء المشركين فقال: {الله أعلم بما كانوا عاملين}[1].

وفي صحيح مسلم عن علي ﷺ: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: {ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، قالوا: يا رسول الله فلم نعمل، أفلا نتكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ: « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ - إلى قوله- فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ }[2].

المرتبة الثانية: الكتابة

ولا بـد مـن الإيمـان بـأن الله -جـل وعـلا- كـتـب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

وهـذه المرتبة أيضـا محـل إجماع بين سلف الأمة من لدن الصحابة فمن بعدهم. فكل كائن إلى يوم القيامة فهو عندهم مكتوب في اللوح المحفوظ.

ومن الأدلة على هذه المرتبة:

أولا: دلالة القرآن:

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحج ٧٠]

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٨٤) ومسلم برقم (٢٦٥٩)

(٢) رواه مسلم في القدر (٨/ ٤٧) برقم (٢٦٤٧)

وقوله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[يس ١٢] وقوله ﷻ في محاجة موسى ﵇ لفرعون ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[طه، الآيتان:٥١،٥٢].

ثانيا: دلالة السنة على هذه المرتبة:

ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة قال: وكان عرشه على الماء}[(١)].

وفي الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب ﵁ {ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة}[(٢)].

المرتبة الثالثة: المشيئة

ولا بد من الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وإحاطته بكل شيء فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فليس شيء في الوجود إلا بمشيئته فلا هداية ولا إضلال ولا حركة ولا سكون إلا بمشيئته.

وهذه المرتبة محل إجماع وقد تواطأ عليها رسل الله وكتبه المنزلة ودلت عليها الفطرة واقتضاها العقل السليم.

(١) سبق تخريجه ص ١٤٦ .
(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير (٦/ ٨٤) ومسلم في القدر (٨/ ٤٦-٤٧)

أولا: دلالة القرآن على مرتبة المشيئة:

قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[القصص ٦٨]

وقوله تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[التكوير ٢٩] .

وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾

[الكهف، الأيتان: ٢٣-٢٤]

ثانيا: دلالة السنة على هذه المرتبة:

قوله ﷺ {إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء}(١) .

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد

ولا بد من الإيمان في هذه المرتبة بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها فكل ما سوى الله مخلوق.

وهذه المرتبة محل إجماع السلف ومن بعدهم، وقد أجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام ودلت عليها الكتب المنزلة والعقول السليمة.

أولا: دلالة القرآن على هذه المرتبة:

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[الزمر ٦٢].

وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[الملك ٢].

---

(١) صحيح مسلم (٨/ ٥١)

وقوله تعالى ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[فاطر ٣] .

ثانيا: دلالة السنة على هذه المرتبة:

ما رواه البخاري في صحيحه من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {إن الله يصنع كل صانع وصنعته}(١).

المسألة التاسعة

في أقسام التقدير

للتقدير أربعة أقسام، منها:

(١) التقدير العام

وهو تقدير الخالق ﷻ لجميع الكائنات علما وكتابة ومشيئة وخلقا ويدل لذلك قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحج ٧٠]. وقال تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحديد ٢٢] وقال تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[التوبة ٥١].

وعـن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول {إن أول ما خلق الله القلـم فقـال له اكتب! قال: رب ماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة}(٢).

---

(١) رواه البخارى فى خلق أفعال العباد (٢٥)

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٧٠٠) في السنة باب في القدر

(٢) التقدير العمري

وهـو تقديـر كل ما يجري على العبد في حياته إلى الموت ويدل على ذلك حديث إرسال الملـك إلى الجـنين فيكـتب إذ ذاك ذكوريتها وأنوثيتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق فلا يزاد فيه ولا ينقص منه.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ﴾ [الحج ٥] .

وعـن ابـن مسـعود ﷺ قـال: حدثـنا رسـول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق {إن أحـدكم يجمـع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد....} (١) الحديث .

(٣) التقدير السنوي

وذلك على الصحيح في ليلة القدر من كل سنة ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [الدخان، الآيات: ١-٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)

قال مجاهد:«ليلة القدر ليلة الحكم»

وقـال سعيد بن جبير: « يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم »

وقـال الحسـن البصـري: « والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله ﷻ كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها»

وقال ابن عباس: «يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان»[1].

(٤) التقدير اليومي

والمراد به سوق المقادير إلى المواقيت التي قدر الله فيما سبق فيعز ويخفض ويرفع ويعطي ويمنع ويحيي ويميت ويضحك ويبكي كل ذلك بأمره وحكمته قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[الرحمن ٢٩] جاء في تفسير هذه الآية عند ابن جرير –رحمه الله- عن منيب بن عبد الله قال: تلا رسول الله ﷺ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ فقلنا: يا رسول الله ما ذاك الشأن؟ قال: {أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع الآخرين}[2]. وهكذا فسرها السلف رضوان الله عليهم.

(١) معارج القبول (٢/ ٢٩٣)

(٢) تفسير الطبري (٢٢/٢١٣-٧٤)

قال البغوي في تفسيرها: «من شأنه أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء»[1].

المسألة العاشرة
الاستطاعة التي يجب بها فعله

يرى عامة أهل السنة والجماعة أن الاستطاعة بالنسبة للمخلوق على قسمين:

الاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به، هذه تكون مع الفعل.

وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات فهي مثل الفعل وبها يتعلق الخطاب كما قال تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة ٢٨٦] .

وهذا القول وسط بين قول القدرية الذين يقولون لا تكون القدرة إلا قبل الفعل وبين قول البعض لا تكون مع الفعل .

ومن أدلة الاستطاعة قوله تعالى ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[آل عمران ٩٧]. فأوجب الحج على المستطيع وهذا هو القدرة على الأسباب أما لو كان المقصود من حج لأصبح المعنى لا يجب الحج إلا على من حج.

---

(١) انظر تفاصيل هذه التقادير في معارج القبول (٢/ ٣٢٣-٣٤٨)

وأما دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة فقوله تعالى ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾[هود ٢٠] والمراد هنا نفي حقيقة القدرة لا نفي الأسباب والآلات لأنها كانت ثابتة.

وكذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾[الكهف ٦٧] أي حقيقة قدرة الصبر لا أسباب الصبر وآلاته لأن هذه ثابتة له بدليل أنه عاتبه على ذلك لأنه يملك الآلات والأسباب ولو لم يكن يملكها لما عاتبه إذ لا يلام من لا يملكها .

المسألة الحادية عشرة

أفعال العباد خلق الله وكسب العباد

اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية فقالت الجبرية –وإمامهم الجهم بن صفوان– إن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى وهي كلها اضطرارية لا اختيار للعباد فيها بل هي كحركة الأشجار وأما إضافتها إلى العباد فذلك على سبيل المجاز.

وقالت المعتزلة جميع أفعال العباد من خلقهم ولا قدرة لله عليها.
وتوسط أهل السنة والجماعة فقالوا: أفعال الخلق مخلوقة لله لكنهم فاعلون لها وبها صاروا مطيعين وعصاة.

وكل دليل صحيح يقيمه الجبري فهو دليل لأهل السنة، وكل دليل صحيح يقيمه المعتزلي القدري فهو لأهل السنة فكل طائفة منهما معها حق فإذا ضم بعضه إلى بعض فهو مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب، قال شارح الطحاوية: «فإذا ضممت ما

مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر الكتب المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يتوجبون عليها المدح والذم»[1].

المسألة الثانية عشرة

الأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر

إن مما يجب التنبه عليه أن فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إن الأخذ بهذه الأسباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، ولهذا يجب على العبد مع الإيمان بالقدر الاجتهاد في العمل والأخذ بأسباب النجاة.

قال شيخ الإسلام: « وإذا ترك العبد ما أمر به متكلا على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شقيا، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول: أنا لا آكل ولا أشرب فإن كان الله قضى بالشبع والري حصل و إلا لم يحصل أو يقول لا أجامع امرأتي فإن كان الله قضى لي بولد فإنه يكون.

وكذلك من غلط وترك الدعاء أو ترك الاستعانة والتوكل طالما أن ذلك من مقامات الخاصة ناظرا إلى القدر فكل هؤلاء جاهلون، ويشهد لهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: {احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان}[2] .

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٤٠)

(٢) رواه مسلم في القدر (٨/ ٥٦)

فأمره بالحرص على ما ينفعه والاستعانة بالله ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القـدر، ثـم أمره إذا أصابه شيء أن لا ييأس على ما فاته بل ينظر إلى القدر ويسلم الأمـر إلى الله، فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة وأمر لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا يعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه» (1).

المسألة الثالثة عشرة

أنفع الدعاء دعاء الفاتحة

ينبغي للعبد أن يستعيذ من شر نفسه ومن سيئات عمله ويسأل ربه أن يعينه على طاعته فبذلك يحصل له كل خير ويندفع عنه كل شر.

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته فلم يصبه شر في الدنيا ولا في الآخرة.

وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الطعام والشراب (2).

---

(1) مجموع الفتاوى (8/ 284-285).
(2) شرح الطحاوية (2/ 519)

المسألة الرابعة عشرة

هل يحتج بالقدر على فعل المعصية أو ترك واجب

بعض الناس إذا وقع في الذنب أو ترك واجبا من الواجبات الشرعية احتج بالقدر عند الإنكار عليه وقال هذا ما قدر الله علي أتعترض على الله؟ ثم هو يحتج بما احتج به آدم ﷺ على موسى ﷺ.

فهل يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية و ترك الواجب؟ نقول: أما القدرية فلم يحتجوا بهذا الحديث الذي احتج به من وقع في الذنب أو ترك الواجب لأنه من قبيل أحاديث الآحاد وهي لا توجب اليقين عندهم ولذلك لم يقبلوا هذا الحديث لأنه عارض العقل عندهم.

وأما الجبرية فهذا الحديث عمدة عندهم في الاحتجاج به ولذا عندهم لا يلام العبد على ما قدر عليه وقد ذكر عقيدتهم في الإيمان بالقدر.

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: إن الإيمان بالقدر ليس معناه أن يحتج العاصي بفعل المعصية أو ترك واجب، فلو كان الاحتجاج بالقدر سائغا عند الوقوع في المعصية لما كان هناك حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: «وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء فإن هذا لو كان مقبولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر.

ونفـس المحتج بالقـدر إذا اعـتدى عليـه واحـتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتـناقض، وتـناقض القـول يـدل علـى فسـاده فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول»[١].

ومن الأدلة على بطلان القول بالاحتجاج بالقدر عند الوقوع في المعصية ما يأتي:

(١) قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[الأنعام ١٤٨].

وجـه الدلالـة مـن الآيـة : أن هـؤلاء المشركين احتجوا بالقدر على معصية الشـرك فوصـفهم الله تعـالى بالكذب وأذاقهم الله بأسه فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لهم ما ذاقوا بأس الله تعالى.

(٢) قوله تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾[النساء ١٦٥] . وجه الدلالة أنه لو كان القدر حجة ما بطلت بإرسال الرسل بل هو باق.

(٣) أما ما يحتج به من حديث احتجاج آدم وموسى على فعل المعصية فنقول أن أهـل السـنة أسعد الناس أخذا به فهم ليسوا كالجبرية عند الأخذ به وليسوا كالقدرية في رده وعدم قبوله فقد قال أهل السنة في الأخذ به.

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٩)

إن آدم -عليه الصلاة والسلام- فعل الذنب وصار ذنبه سببا لخروجه من الجنة لكنه تاب من الذنب وبعد توبته اجتباه ربه ﷻ وتاب عليه وهداه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. ومن المحال أن موسى -عليه الصلاة والسلام- وهو أحد أولي العزم من الرسل أن يلوم أباه على شيء تاب منه وإنما اللوم على المصيبة التي حصلت بفعله وهي إخراج الناس من الجنة فإن سبب هذا الإخراج هو معصية آدم.

على أن آدم -عليه الصلاة والسلام- لا شك لم يفعل هذا ليخرج من الجنة حتى يلام فكيف يلومه موسى .

وهذا وجه ظاهر في أن موسى -عليه الصلاة والسلام- لم يرد لوم آدم على فعل المعصية التي هي من قدر الله وحينئذ يتبين أنه لا حجة بهذا الحديث للجبرية [1].

المسألة الخامسة عشرة

الجمع بين قوله تعالى ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[النساء ٧٨]
وقوله تعالى ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[النساء ٧٩]

قوله تعالى ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ اي الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله. اما قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ اي ما اصابك من

(١) شرح الواسطية لشيخنا محمد الصالح العثيمين (٢/ ٢٢٣-٢٢٤)

سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[الشورى ٣٠].

المسألة السادسة عشرة
كيف يوجه الخطاب للجماد

{أول مـا خلق الله القلم قال له: اكتب! قال: وما أكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة} [١].

استشكل بعض الناس فقال كيف يوجه الخطاب إلى الجماد؟

والجواب على ذلك أن الجماد بالنسبة إلى الله عاقل يصح أن يوجه إليه الخطاب والأدلة من كتاب الله كثيرة، من ذلك قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾[فصلت ١١].

فـوجه الله تعالى إليها الخطاب وذكر جوابها وكان الجواب بجمع العقلاء طائعين دون طائعات.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء ٦٩] فكانت كذلك. وقال أيضا ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ ﴾[سبأ ١٠] فكانت الجبال تؤوب معه [٢].

---

(١) سبق تخريجه ص ١٦٧ .
(٢) شرح الواسطية (٢/ ١٩٨-١٩٩)

المسألة السابعة عشرة
القدر يتضمن أصولا عظيمة

القدر الذي هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولا عظيمة ومنها:

(١) أنه ﷻ عالم بالأمور المقدرة قبل كونها وهذا دليل على ثبوت علمه القديم وفي ذلك الرد على من ينكر ذلك.

(٢) أن التقدير يتضمن مقادير المخلوق وهي صفاتها المعينة المختصة بها قال تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان ٢].

وهـذا يتضـمن تقديـر الشـيء في نفسه وتقديره قبل وجوده وهذا فيه دلالة على علمه بالكليات والجزئيات.

(٣) أنـه يتضـمن أنـه أخـبر ذلـك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخبارا مفصلا وهـذا يقتضي أنه يمكن أن يعلم بها العباد قبل وجودها وهذا يدل بطريق الأولى على علم الخالق بها فإذا كان يعلم عباده بذلك فعلمه من باب أولى.

(٤) أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله محدث له بمشيئته وإرادته ليس لازما لذاته.

(٥) أنه يدل على حدوث هذا المقدور وأنه كان بعد أن لم يكن فإنه يقدره ثم يخلقه.

المسألة الثامنة عشرة
معنى المحو والإثبات وزيادة الأجل ونقصانه

يشكل على بعض الناس مواضع من كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ فيقول بعضهم: إذا كان الله تعالى علم ما هو كائن وكتب ذلك كله عند في كتاب فما معنى قوله

تعالى ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[الرعد ٣٩] وإذا كانت الأرزاق والأعمال والآجال مكتوبة لا تزيد ولا تنقص فما توجيهكم لقوله ﷺ (من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)[١].

وما قولكم في الحديث الذي فيه أن الله جعل عمر داود عليه الصلاة والسلام مائة سنة بعد أن كان أربعين سنة؟

الجواب: يجاب عن هذه الإشكالات بما يأتي:

الأرزاق والأعمال نوعان:

نوع جرى به القدر وكتب في أم الكتاب فهذا لا يتغير ولا يتبدل.

ونوع أعلم الله به ملائكته فهذا هو الذي يزيد وينقص ولذا قال الله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[الرعد ٣٩] وأم الكتاب هي اللوح المحفوظ الذي قدر الله فيه الأمور على ما هي عليه.

ففي كتب الملائكة يزيد الأمور وينقص وكذلك الرزق بحسب الأسباب فإن الملائكة يكتبون له رزقا وأجلا فإذا وصل رحمه زيد له في الرزق والأجل و إلا فهو ينقص له منهما [٢].

والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله وأجل مقيد فإن الله يأمر الملك أن يكتب لعبده أجلا رحمه يأمره أن يزيد في أجله ورزقه والملك لا يعلم أيزيد له في ذلك أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء الأجل لم يتقدم ولا يتأخر[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٧٢٨) ومسلم (٤/ ١٩٨٢) .
(٢) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٥٤٠) .
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٥٤٠) .

المبحث الخامس

الايمان بالرسل

- تعريف النبي والرسول
- الإيمان بالأنبياء والرسل من أصول الإيمان
- الأنبياء والرسل جم غفير
- الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن
- أشخاص صالحون مشكوك في نبوتهم
- الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام
- لا تثبت النبوة لأحد إلا بدليل
- حاجة البشرية إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام
- وظائف الرسل
- صفات الرسل
- أمور تفرد بها الأنبياء دون البشر
- دلائل النبوة
- أمثلة لآيات الرسل عليهم الصلاة والسلام
- دعوة الرسل
- تفاضل الأنبياء

المبحث الخامس

الإيمان بالرسل

تعريف النبي والرسول

النبي في اللغة : مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[النبأ، الآيتان: ١-٢] .

والنبي مخبر من الله ومخبر عن الله، قال تعالى ﴿ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[التحريم٣]
وقال تعالى ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الحجر٤٩] .

وقيل: النبوة مشتقة من النبوة وهي ما ارتفع من الأرض.
والأنبياء أشرف الخلق وهم الأعلام التي تهتدي بها الخلق فتصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة .

الرسول في اللغة: مأخوذ من الإرسال وهو التوجيه، قال تعالى ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[النمل٣٥] .

والرسل موجهون من الله مكلفون بحمل رسالة ربهم إلى الناس بتبليغها ومتابعتها.

الفرق بين النبي والرسول

قيل لا فرق بينهما فكل منهما يدل على الآخر وهذا غير مسلم والصواب أن بينهما فرقا بدليل أن الله عطف النبي على الرسول في قوله﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[الحج٥٢].

وقد وصف الله بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة قال تعالى عن موسى -عليه الصلاة والسلام- ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[مريم٥١].

والمتعارف عليه عند كثير من أهل العلم أن الرسول أعم من النبي، فالرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

قال شارح الطحاوية: «وقد ذكروا فرقا بين النبي والرسول وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا» (١).

لكن الذي يظهر لي -والله أعلم- أن الأمر ليس كما قال شارح الطحاوية لما ذكرته من آية الحج وهذا هو اختيار شيخ الإسلام -رحمه الله- والشنقيطي وغيرهم.

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٥٥)

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-:

«والنبي هو الذي ينبؤه الله وهو ينبئ بما أنبأه الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول.. إلى أن قال رحمه الله»

فقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قال دليل على أن النبي رسول ولا يسمى رسولا عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه الحق» [1].

قال الشنقيطي -رحمه الله-:

«النبي الذي هو الرسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة» [2].

(١) النبوات لابن تيمية ص ٢٥٥

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٧٣٥)

الإيمان بالأنبياء والرسل من أصول الإيمان

الإيمان بالأنبياء والرسل أحد أركان الإسلام الستة التي لا يتم إيمان المرء إلا بها قال تعالى ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[الأعراف٨٤] .

ومن لم يؤمن بهم فقد ضل وخسر قال تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء١٣٦] .

الأنبياء والرسل جم غفير

اقتضت حكمة الله ألا يعذب أحدا يرسل له رسولا، وقد كانت الأنبياء والرسل ترسل بأعداد كبيرة في الأمم السابقة ولم يرسل الله للبشرية كلها رسولا عاما إلا محمدا ﷺ بخلاف غيره من الرسل فقد كانوا يرسلون إلى أممهم خاصة.

ولذلك قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾ [الأعراف ١٥٨] وقال ﷺ {كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة}[1].

وجميع الأمم أرسل الله إليها رسلا ينذرونهم ويبشرونهم، قال تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر ٢٤] .

وقد جاء عدد الأنبياء والرسل في حديث عند الإمام أحمد أن عددهم مائة وأربعة وعشرون الف نبي وأن عدد الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا بعدد من حضروا بدرا.

وقال أكثر أهل العلم أنه لا يعلم عددهم إلا الله لأن هناك من لم يقصصه الله علينا فمن جاء ذكره في كتاب الله عرفناه ومن لم يذكر لا نعرفه قال تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[النساء ١٦٤] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٥، ٤٣٨، ٣١٢٢)، ومسلم برقم (٥٢١)

الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن

ذكـر الله في كـتابه خمسة وعشرين نبيا ورسولا، ذكر ثمانية عشر في سورة واحدة وهي الأنعام في موضع واحد، قال تعالى:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[الأنعام، الآيات:٨٣-٨٦].

وذكـر سبعة في مواضـع متفـرقة وهم آدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذا الكفل ومحمد ﷺ.

وهـؤلاء الخمسـة والعشـرون مـنهم أربعة من العرب هم هود وصالح وشعيب ومحمد ﷺ.

وقد جاءت السنة بالنص على بعض الأنبياء ومنهم شيث ويوشع بن نون.

أشخاص صالحون مشكوك في نبوتهم

هناك أشخاص صالحون مشكوك في نبوتهم وهم:

(١) ذو القرنين:

ذكر الله تعالى خبر ذي القرنين في سورة الكهف في آخرها وأخبر أنه خاطبه فقال ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾[الكهف ٨٦].

فهل كان هذا الخطاب مباشرة له أو بواسطة نبي كان معه؟ جزم بعض أهل العلم بنبوته ونفاها بعضهم عنه .

وقد قال ابن حجر: «إن القول بنبوته مروي عن عبد الله بن عمرو وعليه ظاهر القرآن» ومن الذين نفوا نبوته علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

(٢) تبع:

ورد ذكر تبع في قوله تعالى ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[الدخان ٣٧].

وقال تعالى ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾[ق ١٣].

فهل كان نبيا مرسلا إلى قومه فكذبوه فأهلكهم الله أم لا ؟

والأفضل التوقف في أمر ذي القرنين وتبع لأنه ورد الدليل بتوقف الرسول ﷺ فنحن من باب أولى.

فقد روى الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال {لا أدري أتبع نبيا أم لا، وما أدري ذا القرنين نبيا أم لا}[1].

(٣) الخضر:

الخضر هو الرجل الصالح الذي رحل إليه موسى -عليه الصلاة والسلام- ليطلب منه علما وقد جاء خبرهما في سورة الكهف.

وسياق القصة يوحي بنبوته من وجوه:

أحدها: قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا ﴾[الكهف ٦٥] .

الثاني: قول موسى -عليه الصلاة والسلام- له ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[الكهف، الآيات: ٦٦-٧٠].

فلو كان غير نبي لم يكن معصوما ولم يكن لموسى مع نبوته وعظيم قدره الحرص الشديد على تحصيل العلم منه لأنه خص بعلوم وأسرار لم تكن لموسى عليه الصلاة والسلام.

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٥/ ١٢١)

الثالث : أن الخضـر أقـدم على قتل الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه لأنه لا يجوز لأحد مهما بلغت درجة ولايته أن يقدم على قتل معصوم إلا إذا كان نبيا يوحى إليه من ربه وهذا وحده كاف في الدلالة على نبوته و الله أعلم.

الرابع : أن الخضر لما فسر لموسى حقيقة أمر كل ما فعله من خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار قال ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾[الكهف ٨٦] أي ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمرت به وأوحي إلي فيه.

وقـد نـازع في نـبوته أقـوام مـن أهـل العلم فجزم ابن حجر بنبوته واستدل بما ذكـرناه آنفـا ولـيس لدينا نص صريح يدل على نبوته ولذا يبقى الأمر محل نظر عند أهل العلم والله أعلم.

الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام

الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل ، قال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء ١٠٥] .

وقال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء ١٢٣] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء ١٤١] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء ١٦٠].

ومن المعلوم أن كل أمة كذبت برسولها لكن عد تكذيبهم لرسولهم تكذيبا للرسل جميعا ذلك أن الرسل حملة رسالة واحدة ودعاة دين واحد ومرسلهم واحد يبشر متقدمهم بمتأخرهم ويصدق متأخرهم متقدمهم.

وقد جاء النص بذلك صريحا قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾[النساء١٥٠ ،١٥١] .

وقد أمرنا الله بعدم التفريق بينهم قال تعالى ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة١٣٦].

وقد مدح الله هذه الأمة ورسولها لأنهم آمنوا بجميع الرسل ولم يفرقوا بينهم.

قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[البقرة٢٨٥].

وقد ذم الله تعالى أقواما لتفريقهم بين الرسل فاليهود لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمد ﷺ، والنصارى لا يؤمنون بمحمد ﷺ.

لا تثبت النبوة لأحد إلا بدليل

جاءت أخبار كثيرة عن بني إسرائيل بتسمية بعض الأنبياء كالذين ذكرهم الله في سورة (يس) في قصة أصحاب القرية الذين أرسل إليهم اثنين ثم عزز بثالث. وهكذا ما ذكره بعض المفسرين حول تسمية بعض الأنبياء كجرجس وخالد بن سنان كل ذلك لا دليل عليه ولذا لا تثبت النبوة لأحد إلا بدليل صريح صحيح.

وكذا لا تنفي نبوة من جاءت الأخبار عن بني أسرائيل بذلك لأن خبرهم يحتمل الصدق والكذب ولكن نقطع بأنه لا نبي بعد محمد ﷺ.

حاجة البشرية إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام

الناس اليوم يحتاجون إلى الرسالة أشد من حاجتهم في السابق لكن شياطين الإنس ينفخون في عقولهم ويدعون إلى التمرد على شرع الله المطهر بحجة أن هذه الشريعة فيها حجر على العقول وتقييد للحريات لكن الواقع أن البشرية اليوم أحوج من ذي قبل لأن هذا النضج الذي بلغوه وتلك العبقريات في شتى مجالات الحياة غوصا في أعماق البحار وانطلاقا إلى أجواء الفضاء، كل ذلك يدعوهم بحق إلى التعلق بالشرع المطهر لأنه السياج الآمن والمنطلق الثابت الذي يحفظ عليهم توازنهم ويمنع المزالق الخطيرة التي تؤدي بحياة البشرية وتوقعها في الهاوية في الدنيا ثم الجحيم في الآخرة.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:

«فإنـه لا سبيل إلى السعادة والفـلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسـل ولا سبيل إلى معـرفة الطيب والخبيث إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم فالقلب الذي يبعد عن الشرع كالحوت الذي يفارق الماء.... إلى أن قال.

والوحي مع العقل كنور الشمس أو الضوء مع العين فإذا حجب الوحي عن العقل لم ينتفع الإنسان بعقله كما أن المبصر لا ينتفع بعينه إذا عاش في ظلمة فإذا أشرقت الشمس وانتشر ضوءها انتفع بناظريه وكذلك أصحاب العقول إذا أشرق الوحي على عقولهم وقلوبهم أبصرت واهتدت ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [1]».

(١) زاد المعاد (١/ ١٥)

وظائف الرسل

للرسل وظائف بينها القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن هذه الوظائف:

(١) البلاغ المبين.

هذه هي الوظيفة الأساسية للرسل -عليهم الصلاة والسلام- وهذه أعظم الأمانات التي تحملوها، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[المائدة ٦٧] .

والبلاغ يكون بتلاوة النصوص التي أوحاها الله إليهم من غير نقص أو زيادة، قال تعالى ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾[العنكبوت ٤٥] .

ومن البلاغ أن يوضح الرسول الوحي الذي أنزل إليه من ربه ويبينه لعباد الله لأنه أقدر الناس على فهمه وإيضاحه للناس.

وقد بين الرسول ﷺ كثيرا من الأحكام المجملة كالصلاة والزكاة والصيام والحج. وكما يكون البيان بالقول يكون بالفعل.

وهكذا سنة الرسول ﷺ بيان وإيضاح بالقول والفعل والتقرير والوصف.

(٢) الدعوة إلى الله.

لا تقف مهمة الرسول عند بيان الحق للناس بل عليهم دعوة الناس وهدايتهم بدلالتهم إلى الطريق الحق والرشاد وجميع الرسل مهمتهم أن يقولوا للناس اعبدوا الله فأنتم عباد الله والله هو الإله الواحد فيجب على جميع الخلق طاعته وعبادته.

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل٣٦]

وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء٢٥] .

وقد بذل رسل الله ﷺ جهودا مباركة وحرصوا على هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

فهـذا نـوح -عليه الصلاة والسلام- يمكث في دعوته قومه ألف سنة إلا خمسين عاما كلـها دعـوة متواصلة دعاهم علانية وسرا ليلا ونهارا ترغيبا وترهيبا وعدا ووعيدا ومع ذلك عصوه ولم يستجيبوا له قال تعالى:

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾[نوح ٢١] .

(٣) التبشير والإنذار

دعوة الرسل مقترنة بالتبشير والإنذار، قال تعالى ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[الكهف٥٦] .

وقـد ضـرب الرسول ﷺ مثلا حيا لنفسه وأمته فقال {مثلي ومثل ما بعثني الله به كمـثل رجـل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير فالنجاء النجاء

فأطاعـه طائفـة مـن قـومه فأدلجـوا وانطلقـوا علـى مهلـهم فـنجوا، وكذبـه طائفة منهم فأصـبحوا مكـانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق} [1].

ومهمة التبشير والإنذار للرسل لها جانبان: جانب دنيوي وجانب أخروي فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة، قال تعالى ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾[النحل٩٧] وقال تعالى ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾[طه١٢٣].

وبالمقابل يخوفون العصاة بالشقاء الدنيوي، قال تعالى ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[طه١٢٤].

وهكـذا المتتبع لنصوص الكتاب والسنة يلحظ هذا الأمر التبشير والإنذار ولذا فينبغي للدعاة وأهل العلم أن يركزوا على ذلك في أحاديثهم وخطبهم وكتاباتهم توجيها للناس ودلالة لهم على الخير وبيان ثمرة الطاعة ومغبة المعصية.

(٤) إصلاح النفوس وتزكيتها .

مـن مهمـات الرسل إصلاح نفوس الناس وتزكيتها لتقبل الخير والنور ولتخرج مـن الظلمـات إلى النور، ولذا عمل الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم– على تعريف

---

(١) صحيح الجامع (٥/ ٢٠٥)

أقـوامهم بخالقهم وبيان ما يستحق من العبادة ودلالة الخلق على النافع الضار وبيان سبل العبادة والطاعة، قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة٢] .

صفات الرسل

للرسل صفات يشتركون فيها مع سائر الناس وصفات تخصهم. ومن هذه الصفات التي يشتركون فيها مع الناس ما يأتي:

(١) البشرية

اقتضت حكمة الله أن يكون الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من البشر أنفسهم قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[الكهف ١١٠].

والبشر أهل لأن يتحملوا الرسالة لأنها أمانة والإنسان قادر على تحمل الأمانة ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب ٧٢].

لكن الرسل يعدون إعدادا خاصا لتحمل النبوة وهذا ما حدث لنبينا ﷺ حيث أحاطه ربه بعنايته كما قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[الضحى، الآيات: ٦، ٧، ٨].

ولـم لـم يكن الرسل ملائكة؟

كثر اعتراض الناس على بعثة الرسل وكونهم من البشر وهذا واحد من أسباب صد الناس عن الإيمان بهم قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[الإسراء ٩٤] .

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[الفرقان ٧].

وقد قال أهل العلم في حكمة اختيارهم من البشر لا من الملائكة:

أ. أن ذلك أعظم في الابتلاء والاختبار.

ب. أن في ذلك إكراما لمن سبقت لهم من الله الحسنى حيث أكرمهم وتفضل عليهم باختيارهم من سائر البشر، قال تعالى ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾[مريم ٥٨].

ج. أن البشر أقدر على القيادة والتوجيه وهم الذين يصلحون قدوة وأسوة فهو مثلهم يحس بإحساسهم ويعمل بالتكاليف التي يبلغهم بها فهو يبدأ بنفسه في تطبيق ما يدعو إليه فهم يقتدون به في حركاته وسكناته وأعماله وأخلاقه.

د. صعوبة رؤية الملائكة لأن طبيعة البشر لا تتحمل ذلك فالرسول ﷺ مع ما أعطاه الله من القدرات كان يرجف فؤاده وترتعد أطرافه إذا جاءه جبريل ولذا ناسب أن يرسل إلى البشر بشر مثلهم، ولو كان سكان الأرض ملائكة لأرسل إليهم من جنسهم وصدق الله العظيم ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[آل عمران١٦٤].

وقال تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[الإسراء ٩٥].

(٢) تعرض الأنبياء للبلاء.

مـن مقتضـى بشرية الرسل أنهم يتعرضون للبلاء كما يتعرض البشر فقد يسجن النبي كما سجن يوسف -عليه الصلاة والسلام-، وقد يخرج من دياره ويؤذى كما حصل لإبراهيم ومحمد -عليهما السلام- وقد يصابون بالأمراض كما حصل لأيوب -عليه الصلاة والسلام-.

بـل إن الأنبياء هم أشد الناس بلاء كما جاء ذلك في الحديث {أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على قدر دينه}[١].

(٣) اشتغال الأنبياء بأعمال البشر

مـن مقتضـى بشرية الرسـل -عليهم الصلاة والسلام- أنهم يشتغلون بأعمال البشـر فقد عمل أنبياء الله بالتجارة ورعوا الغنم وكان داود حدادا يعمل الدروع وزكريا نجارا[٢].

(٤) ليس فيهم شيء من خصائص الألوهية والملائكة.

من مقتضى بشرية الرسول أنهم لا حول لهم ولا قوة إلا بالله، فليس فيهم شيء من خصائص الألوهية وما كان لأحد منهم أن يدعي ذلك، ولذا أخبرنا الله عن عيسى -عليه الصلاة والسلام- فقال ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴾[المائدة ١١٦] .

---

١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٣)

٢) ثبت ذلك عنهم عن النبي ﷺ كما جاء في مشكاة المصابيح (٣/ ١١٧)

وليس فيهم شيء من خصائص الملائكة بل هم يأكلون ويشربون وينكحون ويخالطون الناس كسائر البشر.

(٥) الكمال البشري.

البشر يتفاوتون فيما بينهم في الخلق والخلق والمواهب والقدرات، والأنبياء يمثلون الكمال الإنساني ذلك أن الله اختارهم واصطفاهم فهم أطهر الناس قلوبا وأزكاهم أخلاقا وأجودهم أنفسا وأنفعهم لعباد الله وصدق الله ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾[الأنعام ١٢٤].

فعندهم كمال الخلقة وكمال الخلق وهم أفضل الناس نسبا وقد أعطاهم الله عقولا راجحة وذكاء حادا ولذا عرضوا شريعتهم وأفحموا المعارضين لها وبلغوا دين الله بكل أمانة وصدق وإن ما قصه الله علينا من حوار بين موسى -عليه الصلاة والسلام- وفرعون الطاغية خير مثال لما نقول قال تعالى﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾ [الشعراء، الآيات :٢٣-٢٩].

ومن صور كمال الأنبياء أن الله اختارهم كلهم من الرجال قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ ﴾[الأنبياء ٧] .

ومن الحكم في اختيار الأنبياء رجالا ما يأتي:

أ- أن الرسـالة تقتضـي الاشتهار بالدعوة ومخاطبة الرجال والنساء والتنقل في أرض الله ومـواجهة المكـذبين وإعـداد الجـيوش وقـيادة المعارك وهذا يناسب الرجال دون النساء.

ب- الرسـالة تقتضـي قـوامة الرسـول على من يتابعه فهو الحاكم والقاضي والأمـير والمسـئول ولـو كانت امرأة لما استطاعت ذلك ولامتنع أقوام من الطاعة لها والانقياد لأوامرها.

ج. الذكورة أكمل من الأنوثة ولذا جعل الله القوامة للرجال على النساء، قال تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾[النساء٣٤] .

د. المـرأة يطـرأ علـيها مـا يعطلـها عن كثير من الوظائف والمهمات كالحيض والحمـل والـولادة والـنفاس ومـا يصـاحب ذلـك من اضطرابات وآلام وأوجاع وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها.

أمور تفرد بها الأنبياء دون البشر

١ - الوحي.

خص الله الأنبياء دون سائر البشر بوحيه إليهم، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[الكهف ١١٠] .

وهذا الوحي يقتضي عدة أمور يفارقون بها الناس، فمن ذلك تكليم الله بعضهم واتصالهم ببعض الملائكة وتعريف الله لهم شيئا من الغيوب الماضية أو الغيوب المستقبلة ومن ذلك الإسراء بالرسول ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات ورؤيته للملائكة والأنبياء وإطلاعه على الجنة والنار وسماعه لعذاب المعذبين في قبورهم.

٢ - العصمة.

اتفقت [١] الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة فلا ينسون شيئا مما أوحاه الله إليهم إلا شيئا قد نسخ وقد تكفل الله بذلك قال تعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الأعلى، الآيتان: ٦، ٧].

وهم معصومون في التبليغ فالرسل لا يكتمون شيئا مما أوحاه الله إليهم ذلك أن الكتمان خيانة والرسل يستحيل عليهم ذلك قال تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[المائدة ٦٧] .

---

(١) نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد منهم شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٢٩١)

ويرى أكثر العلماء أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر، قال شيخ الإسلام: «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام» [1].

٣ - الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.

مما اختص الله به الأنبياء أن أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام وقد جاء في حديث الإسراء عند البخاري {والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم}[2] وقال ﷺ {إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا} [3].

٤ - تخيير الأنبياء عند الموت.

مما تفرد به الأنبياء أنهم يخيرون بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول {ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة}[4].

٥ - لا يقبر نبي إلا حيث يموت.

مما خص الله به الأنبياء بعد موتهم أمور :

الأول : أنه لا يقبر نبي إلا في الموضع الذي مات فيه جاء في الحديث {لم يقبر نبي إلا حيث يموت}[5]. ولذا دفن رسول الله في حجرة عائشة حيث قبض.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩)

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ ، فتح الباري (٦/ ٥٧٩)

(٣) صحيح الجامع (٣/ ٥٥)

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٨/ ٢٥٥)

(٥) صحيح الجامع (٥/ ٤٦)

الثاني : من إكرام الله لأنبيائه ورسله أن الأرض لا تأكل أجسادهم فمهما طال الزمن وتقاوم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى ، قال ﷺ {إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء}[1].

الثالث: أحياء في قبورهم.

صح عن النبي ﷺ {أن الأنبياء أحياء في قبورهم}[2] وقد جاء ذلك في حادثة الإسراء فقد رأى نبينا موسى -عليه الصلاة والسلام- يصلي وإذا عيسى -عليه الصلاة والسلام- يصلي وإذا إبراهيم قائم يصلي[3] .

(١) رواه أبو داود برقم(١٠٤٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٢٥)
(٢) صحيح الجامع (٢/ ٤١٤)
(٣) فتح الباري (٦/ ٤٨٧)

دلائل النبوة

هناك دلائل كثيرة للأنبياء ومن أهمها:
الآيات والمعجزات التي يجريها الله تصديقا لرسله.

الآيـة والمعجزة هي ما يجريه الله على أيدي أنبيائه ورسله من أمور خارقة للسنن الكونـية المعـتادة التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها كتحويل العصا إلى أفعى تتحرك. فيكون هذا الأمر دليلا صادقا غير قابل للنقض والإبطال على صدق رسالتهم.

وقـد تـنوعت هذه الآيات والمعجزات التي أجراها الله على أيدي أنبيائه ورسله، وجميع هذه الآيات والمعجزات تندرج تحت أمور ثلاثة: العلم والقدرة والغنى.

فالإخـبار بالمغيبات الماضية والآتية كإخبار عيسى قومه بما يأكلونه وما يدخرونه في بـيوتهم وإخـبار رسولنا ﷺ بأخبار الأمم السابقة وإخباره بالفتن وأشراط الساعة التي ستأتي في المستقبل، كل ذلك من باب العلم.

وتحـويل العصـا إلى أفعى وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وشق القمر من باب القدرة .

وعصـمة الله لرسله من الناس وحمايتهم ممن أراد بهم سوء أو قيام الأنبياء بأمور قد لا يطيقها غيرهم كمواصلة نبينا الصيام بالليل والنهار من باب الغنى.

وهذه الأمور الثلاثة العلم والقدرة والغنى التي ترجع إليها جميع المعجزات لا ينبغي أن تكون إلا لله على وجه الكمال المطلق، وقد أمر الله رسوله أن يتبرأ من دعوى

هذه الأمور في قوله ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾[الأنعام ٥٠].

فالرسـول يـبرأ مـن دعـوى علـم الغيب وملك خزائن الأرض ومن كونه ملكا مستغنيا عـن الطعـام والشـراب والمـال. والرسـل ينالون من هذه الثلاثة ما يعطيهم الله فيعلمون ما علمهم الله ويقدرون على ما أقدرهم ويستغنون بما أغناهم.

أمثلة لآيات الرسل عليهم الصلاة والسلام

آية نبي الله صالح.

دعا صالح -عليه الصلاة والسلام- قومه إلى عبادة الله كغيره من الرسل، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[النمل ٤٥].

لكن قومه كذبوه وطلبوا منه آية تدل على صدقه قال تعالى ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[الشعراء، الآيتان:١٥٣، ١٥٤].

وقد ذكر كثير من المفسرين أن ثمود قوم صالح اجتمعوا ذات يوم في ناديهم فجاءهم نبيهم صالح فدعاهم إلى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له على سبيل التحدي والتعجيز: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة القريبة ناقة صفتها كذا وكذا ومنها أن تكون عشراء طويلة، فقال لهم نبيهم صالح أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئت به وتصدقوني بما أرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عليهم العهود والمواثيق على ذلك.

ثم قام إلى مصلاه فصلى ما قدر له ثم دعا ربه أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه الذي طلبوا فلما عاينوها كذلك رأوا أمرا عظيما وقدرة باهرة ودليلا قاطعا وبرهانا ساطعا يدل على صدق صالح ونبوته فآمن كثير منهم لكن أكثرهم استمر على كفره عنادا وجحودا كعادة الكفار.

قال تعالى مبينا هذه المحاورة بين صالح وقومه ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ ﴾[الشعراء ١٥٥].

وقال تعالى ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾[الأعراف ٧٣].

معجزة إبراهيم ﷺ.

حطم إبراهيم آلهة قومه التي كانوا يعبدونها فأشعلوا له النار ورموه فيها فأمر الله -جل وعلا- النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾[الأنبياء، الآيات: ٦٨، ٦٩، ٧٠].

ومن الآيات التي أجراها الله على يد نبيه إبراهيم إحياء الموتى في قصة طيور حيث أمره مولاه أن يذبح الطيور ثم يقطعها ويفرق لحمها على عدة جبال ثم يدعوها فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتدب فيها الحياة وتلبي نداءه وتحلق طائرة في السماء كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ ﴾[البقرة ٢٦٠].

آيات نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام.

أعطى الله موسى تسع آيات بينات، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ﴾[الإسراء ١٠١].

وهذه الآيات هي:

١- العصا وهي أعظم الآيات وأكبرها فهي تتحول بقدرة الله إلى حية عظيمة حينما يلقيها في الأرض قال تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾[طه، الآيات: ١٧-٢١].

وقد أعلن السحرة إيمانهم لما عاينوا ما فعلته هذه الحية لأنهم بخبرتهم علموا أنها ليست من السحر بل من صنع الخالق العظيم فسجدوا أمام الجموع في وقت التحدي إذعانا للخالق العظيم ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ ﴾[طه٧٠]

٢- ومن الآيات لموسى أنه يضم يده إلى جناحه فتخرج بيضاء تتلألأ كأنها قمر من شدة بياضها وليس فيها مرض من برص أو بهق بل من عظيم قدرة الله جل وعلا ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾[طه ٢٢].

وجاءت سبع آيات في سورة الأعراف حيث أصاب الله فرعون وقومه بها.

٣- أصابهم بالسنين وهي الجدب والقحط بسبب قلة المطر.
٤- نقص الثمرات ذلك أن الأرض منعت خيراتها وما يخرج تصيبه الافات .
٥- الطوفان الذي يتلف المزارع ويهدم المباني والقرى.
٦- الجراد الذي لا يدع شيئا أخضر إلا أكله بل أكل حتى اليابس.
٧- القمل وقد سلط الله عليهم حشرة تؤذيهم في أجسادهم على وجه لا يمكن مدافعتها.
٨- الضفادع التي نغصت عليهم عيشتهم وكثرت بحيث تلاحقهم في كل مكان.
٩- الدم الذي يصيب الطعام والشراب فلا يفتحون إناء إلا وجدوه دما، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[الأعراف، الآيات: ١٣٠-١٣٣].

وأعطى الله موسى -عليه الصلاة والسلام- آيات أخرى ومنها ضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقا وضرب الحجر فانفلق اثنتي عشرة عينا وإنزال المن والسلوى على بني إسرائيل في صحراء سيناء.

معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام.

من معجزات عيسى –عليه الصلاة والسلام- أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتصبح طيورا بإذن الله وقدرته ويمسح الأكمه فيبرأ بإذن الله ويمسح الأبرص فيذهب عنه البرص ويمر على الموتى فيناديهم فيجيبونه قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ ﴾[المائدة ١١٠] .

ومن آياته تلك المائدة التي أنزلها الله من السماء إكراما لعيسى لما طلبها الحواريون قال تعالى ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[المائدة ١١٥].

آيات محمد ﷺ.

أجرى الله على يد نبينا محمد ﷺ معجزات باهرات وآيات عظيمات وقد تعددت وتنوعت حتى فاقت الألف معجزة وقد تكلم عنها أهل التفسير والحديث والسير .

أعظم آيات نبينا:

أعظم آياته بل أعظم آيات جميع الأنبياء هو القرآن الكريم والكتاب المبين آية باقية ومعجزة خالدة لا تتغير ولا تتبدل ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت، الآيتان: ٤١-٤٢].

وقد تحدى الله به أرباب البيان والفصاحة وأساطين البلاغة وقد بلغوا الذروة في ذلك فجاء هذا الكتاب العظيم وتحداهم رسولنا أن يأتوا بمثله بل بسورة بل

آية فعجزوا وأذعنوا وسلموا للتحدي لكن المكابرة والغطرسة جعلتهم يتأخرون في الانقياد لدعوة محمد ﷺ قال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[البقرة، الآيتان: ٢٣-٢٤].

معجزة لا كالمعجزات

شاء الله أن تكون معجزة خاتم الأنبياء نمطا فريدا مخالفا لمعجزات الرسل فليست شيئا مؤقتا فقط بل معجزة خالدة على مر العصور والأزمان، معجز في تشريعه في نظمه وسبكه معجز في ألفاظه معجز في دقائقه وخصائصه في تلاوته وترديده لا يتغير ولا يتبدل لا يخلق على كثرة ترديده إنه المعجزة المفتوحة للأجيال كلها ولذا خضعت العرب وانبهرت من عظمته وبلاغته.

وهكذا ضرب الله العرب في أعز ما تملك وهو الفصاحة والبيان فكانت المعجزة من جنس ما تميزوا به فسبحان العليم العظيم.

الإسراء والمعراج

من معجزات نبينا ﷺ الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث جمع الله له الأنبياء فصلى بهم إماما قال تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[الإسراء ١].

ومن هنا عرج به إلى السماوات العلى ورأى من آيات ربه الكبرى رأى جبريل على هيئته التي خلق عليها وصعد به إلى سدرة المنتهى وكلمه الرحمن وقد صور الله ذلك بقوله ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[النجم، الآيات:١٢-١٨].

لقد استعظمت قريش هذا الأمر الذي تذهب القوافل وتعود خلال وقت طويل كيف يتسنى لرجل أن يذهب ويرجع في جزء من ليلة واحدة إنه أمر خارق للعادة ولكن ذلك يزول حينما نعلم أن الذي أسرى به هو خالقه مالك الكون رب السماوات والأرض والله على كل شيء قدير.

انشقاق القمر.

من معجزات نبينا ﷺ انشقاق القمر حينما طلب منه المشركون آية على نبوته فانشق القمر شقين وكان وقتها بدرا وقد رأوا حراء بين الشقين.

وقد أخبر الله عن هذه الآية بقوله ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[القمر، الآيتان:١-٢].

تكثيره الطعام ﷺ

من معجزاته ﷺ أنه يكثر الطعام ولو كان قليلا وقد وقع منه ذلك أكثر من مرة فمن ذلك قصة طعام أم سليم حينما جاء الرسول ﷺ بالنفر الذين في المسجد كلهم وهم في حدود السبعين أو الثمانين فجعل يدخلهم عشرة عشرة حتى أكلوا وشبعوا [(1)].

ومن ذلك قصة خبز امرأة جابر حينما دعا الرسول ﷺ أهل الخندق وكانوا في حدود الألف فأكلوا حتى شبعوا وما نقص الخبز وذلك ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم [(2)].

نبع الماء من بين أصابعه ﷺ

من معجزاته ﷺ أنه أحيانا يكثر الماء ولو كان قليلا وينبع من بين أصابعه ومن ذلك ما ذكره جابر يوم الحديبية قال: {عطش الناس وكان مع رسول الله ركوة يتوضأ منها فأقبل عليه الناس وقالوا نريد الشرب والوضوء ولا ماء إلا ما في ركوتك يا رسول الله فوضع يده في الركوة فأخذ الماء يفور من بين أصابعه كأنه عيون، قال جابر: فشربنا وتوضأنا، قيل لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال: كنا خمس عشرة مائة ولو كنا مائة ألف لكفانا}[(3)].

حنين الجذع

كان رسول الله ﷺ يخطب على جذع فلما تحول إلى المنبر وبدأ يخطب عليه حن الجذع فأتى رسول الله ومسح عليه وقد سمع للجذع كصوت العشار [(4)].

---

(١) متفق عليه –المشكاة (٣/ ١٨٢)

(٢) المشكاة (٣/ ١٦٨)

(٣) متفق عليه – المشكاة (٣/ ١٧٠)

(٤) جامع الأصول (١٢/ ٦٨)

انقياد الشجر له

ومـن معجـزاته أن الشجر ينقاد له ويسلم عليه ويكلمه وكل ذلك بأمر الله جل وعـلا وقـد سـلم عليه الحجـر وجاءه العذق [1] يمشي وانقادت له شجرتان حتى قضى حاجته ثـم رجعتا إلى مكانهمـا وشـكى لـه البعير ما يلقى من صاحبه ، وكل ذلك من معجزاته ﷺ [2].

---

(١) العذق : العنقود

(٢) انظر تفاصيل هذه المعجزات في الرسل والرسالات للدكتور عمر بن سليمان الأشقر (صـ ١٣١-١٥٣)

دعوة الرسل

جاء الرسل بمنهج كامل متكامل لإصلاح البشرية في كل شؤون الحياة وهذا الدين الذي جاء به الرسل منزل من عند الله فلا بد أن يكون في غاية الكمال وهو خال من النقائص والعيوب يتفق تماما مع فطرة الإنسان وسنن الكون وقد أشار كتاب ربنا إلى ذلك قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء ٨٢] .

والقرآن الكريم يهدي للطريق الأقوم قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء ٩].

والله -جل وعلا- من لطفه ورحمته ألا يعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة عن طريق الرسل ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء ١٥].

وقد جاء هذا الدين الكامل الشامل موافقا للفطرة والعقل، سئل أعرابي بم عرفت أن محمدا رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل ليته ينهى عنه ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به [١].

ولذا جاءت معجزته خالدة على مر العصور وتعاقب الأجيال كتاب عزيز فيه من الأسرار والعلوم الشيء الكثير وصدق الله العظيم ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[العنكبوت ٤٨] .

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٦-٧)

تفاضل الأنبياء

أولا : الأنبياء أفضل من غيرهم من سائر البشر وقد فاضل الله بين الخلق قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[القصص ٦٨] .

وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من الصديقين والصالحين والشهداء ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[الحج ٧٥] .

وقال تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنعام، الآيات: ٨٣-٨٦].

وقد خالف في هذه المسألة العظيمة الشيعة فقالوا: إن أئمتهم لهم منزلة أعظم من منزلة الأنبياء.

وهذا القول ساقط مردود بنصوص الكتاب والسنة وهو يدل على بطلان مذهبهم.

وقد صرح بذلك زعيم ثورتهم في هذا العصر الخميني حيث يقول في كتابه الحكومة الإسلامية صـ٥٢ «إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

ثانيا : الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم وقد أخبرنا ربنا سبحانه أنه فضل بعض النبيين على بعض قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[الإسراء٥٥].

وقد أجمعت الأمة أن الرسل أفضل من الأنبياء والرسل كذلك يتفاضلون فيما بينهم قال تعالى ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾[البقرة ٢٥٣].

وأولو العزم من الرسل هم أفضلهم، وأولو العزم هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ قال تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[الأحقاف ٣٥]. وقال تعالى ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[الشورى١٣] .

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[الأحزاب٧] .

وهنا سؤال مفاده:

بم يتفاضل الأنبياء والرسل؟ وجوابا عليه نقول: الذي يتأمل الآيات السابقة التي تشير إلى تفاضل الأنبياء والرسل يلاحظ أن الله فضل بعضهم بإعطائه خيرا لم يعطه غيره أو رفع درجته فوق درجة غيره أو باجتهاد النبي في العبادة أو الدعوة.

فداود -عليه الصلاة والسلام- فضله بإعطائه الزبور ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء ٥٥] وأعطى موسى التوراة ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[البقرة٥٣] وأعطى عيسى الإنجيل ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة٤٦].

وقـد اخـتص آدم بأنه أبو البشر خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له.

وفضل نوحا بأنه أول الرسل إلى أهل الأرض وسماه الله عبدا شكورا. وفضل إبراهيم باتخاذه خليلا ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[النساء ١٢٥] وجعله للناس إماما ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾[البقرة ١٢٤] .

وفضـل الله نبيـنا محمـدا ﷺ على غيره من الأنبياء بفضائل كثيرة منها الإسراء به وإمامته للأنبياء والشفاعة العظمى لأهل الموقف

وقـد أرسـل للـناس كافة إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم من كان في زمنه ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة .

وأنـه خـاتم الأنبـياء لا نـبي بعـده قـال ﷺ {فضـلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامـع الكلـم، ونصـرت بالـرعب، وأحلـت لـي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون}[1]

(١) رواه مسلم صحيح الجامع (٢/ ٢١)

المبحث السادس

الايمان بالملائكة

- كيف الإيمان بالملائكة
- المهمات التي أوكلت إلى الملائكة
- أعداد الملائكة وعظم خلقهم
- أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان

المبحث السادس
الإيمان بالملائكة

الملائكة جمع ملاك مأخوذ من الألوكة وهي الرسالة قال تعالى ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ ﴾[فاطر ١] .

فالملائكة عالم غيبي خلقهم الله من نور وجعلهم طائعين متذللين له ولكل منهم وظائف خصه الله بها، والإيمان بهم والتصديق بوجودهم جزء من عقيدة المؤمن وهو ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان العبد إلا به، وقد خلقهم الله وجبلهم على الطاعة والعبادة وعدم المعصية قال تعالى ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم ٦] .

وقال تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[الأنبياء، الآيتان: ١٩-٢٠].

وقال تعالى ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنبياء، الآيتان ٢٦-٢٧].

وأهل السنة والجماعة يقررون وجوب الإيمان بهم وبوظائفهم حسبما جاءت به النصوص الصحيحة وأنهم ليسوا بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كما زعم ذلك المشركون وكذبهم الله في كتابه ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[الزخرف١٩].

كيف الإيمان بالملائكة

نؤمن بأنهم عالم غيبي لا يشاهدون وقد يشاهدون إنما الأصل أنهم عالم الغيبي مخلوقون من نور مكلفون بما كلفهم الله به من العبادات وهم خاضعون لله ﷻ أتم الخضوع ونؤمن بأسماء من علمنا بأسمائهم، ونؤمن بوظائف من علمنا بوظائفهم، فجبريل موكل بالوحي وإسرافيل موكل بنفخ الصور وميكائيل موكل بالقطر والنبات.

ونؤمن بأنهم أجساد قال تعالى ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾[فاطر١]. وقد رأى رسول الله ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد الأفق خلافا لمن زعم أنهم أرواح دون أجساد.

وقد يسأل سائل: هل لهم عقول؟ فنقول له هل لك عقل إذا لماذا ليس لهم عقول وقد أثنى الله عليهم ثناء عظيما أيثني عليهم وليس لهم عقول، وهذا السؤال من السفه والحمق بل من الجنون لأنه طعن فيهم وبأدائهم لمهماتهم التي أناط الله بهم.

وقد استدل أهل السنة على وجوب الإيمان بهم بما يأتي :

قال تعالى ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[البقرة ١٧٧].

وقال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[البقرة ٢٨٥] .

وقال تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء ١٣٦]

ومن السنة حديث عمر بن الخطاب حينما جاء جبريل يعلم الناس دينهم فقال {الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره}[1].

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) . ومسلم برقم (٨)

المهمات التي أوكلت إلى الملائكة

أوضحت النصوص الكثيرة أن الله كلف الملائكة بمهمات عظيمة يقومون بها وهي كثيرة ومتنوعة وقد أثنى الله عليهم لقيامهم بها على أتم وجه وأكمله، ومن هذه الوظائف:

(١) التعظيم لله ﷻ بالتنزيه والتسبيح، وهذه هي وظيفتهم الرئيسية ولذا قدمها الله في الذكر على الإيمان فقال ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾[غافر ٧] وهذا التسبيح يصدر منهم في كل وقت وبصفة دائمة وبطريقة تلقائية ومن غير ملل أو سآمة قال تعالى ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[الأنبياء، الآيتان:١٩-٢٠] وقال تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾[فصلت٣٨].

(٢) إبلاغ الأنبياء والرسل بالرسالات السماوية، فهم حملة الوحي الذي ينزله الله على من وقع عليه الاختيار من البشر ليكون نبيا أو رسولا، وهذا العمل من أعظم أنواع التكريم للملائكة لأن أمانة إبلاغ الوحي من المهام العظيمة التي تتطلب قدرا كبيرا من الأمانة والمسئولية ولذا وصف الله

جبريل بالروح الأمين قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء، الآيات:١٩٢-١٩٥]

(٣) تدوين أعمال المكلفين، فقد وكل الله بكل إنسان اثنين من الملائكة أحدهما يسجل الحسنات والآخر يسجل السيئات قال تعالى ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق١٨]. وهل يكتبون كل كلام أم أنهم يكتبون ما يترتب عليه الثواب والعقاب؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم.

(٤) قبض أرواح البشر، وذلك عند انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم، فقد كتب الله الفناء على جميع الخلائق دون استثناء ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[الرحمن، الآيتان. ٢٦-٢٧] وقد وكل الله بهذه المهمة العظيمة ملك الموت ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[السجدة١١]

(٥) البحث عن مجالس الذكر وحف الجالسين فيها، جاء في صحيح مسلم وغيره {وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله

فيمن عنده}[1] وجاء في الحديث الذي يرويه البخاري {إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا. }[2] الحديث

(٦) تهنئة المؤمنين بدخول الجنة، وذلك بدخول الملائكة على أهل الجنة من كل باب واستقبالهم وإلقاء السلام عليهم وتهنئتهم بهذا الفوز العظيم، قال تعالى ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرعد، الآيتان.٢٣-٢٤]

(٧) القيام بتعذيب أهل النار، فهم خزنة جهنم والقائمون بتعذيب أهلها وهم في غاية الغلظة والشدة والقسوة قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[التحريم ٦].

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٤) برقم ٢٦٩٩
(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩)

وقد أجمل ابن القيم -رحمه الله- أعمالهم فقال:

«منهم أولياء الإنسان وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه والداعون له والمستغفرون له وهم الذي يصلون عليه مادام في طاعة ربه ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ويثبتونه إذا جزع وهم الذين يسعون في مصالح دينه ودنياه وآخرته...»[1].

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٥)

أعداد الملائكة وعظم خلقهم

لا يعلم عددهم إلا الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر٣١] وجاءت أوصاف خلقهم في السنة على هيئة عظيمة جدا فبعضهم له ستمائة جناح وبعضهم رجلاه في الأرض وعلى قرنه العرش وبعضهم ما بين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام وهذا كله بقدرة الخالق العظيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فلا إله إلا الله يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد

خلق الملائكة كان قبل خلق البشر

جاءت النصوص تفيد أن الملائكة مخلوقون قبل البشر. ذلك أن الله خاطبهم بأمر آدم قبل خلقه وهم مخلوقون موجودون، وجه الله لهم الخطاب بقوله ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة٣٠] وهذا الخليفة هو آدم عليه الصلاة والسلام

الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة

لا يجوز أن نصف الملائكة بأنهم ذكور أو أنهم إناث ومن سماهم إناثا فقد افترى على الله وقد شنع الله على المشركين الذين سموهم إناثا في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[الزخرف ١٩] أي ما شهدوا خلقهم وما عرفوا حقيقتهم فحكمهم عليهم بأنهم إناث محض افتراء وكذب وسيعاقبون على هذا الاختلاق وهذا البهتان

الملائكة أشداء أقوياء

أعطى الله الملائكة من الخصائص ما لا يعلمه البشر فهم أقوياء أشداء موصوفون بالغلظة والشدة لكن لا نعلم حدودها ولا مقاييسها إلا ما جاء وصفهم به في القرآن والسنة ﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم ٦].

الملائكة مسخرون للعبادة

الملائكة معصومون عن المعاصي قائمون بطاعة الله ملازمون لعبادته لا يعصون الله تعالى ولا يخالفون له أمرا ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[الأنبياء، الآيتان:١٩-٢٠].

الملائكة يكونون معنا ولا نراهم

أعطى الله البشر حاسة البصر لكنها لا تدرك إلا ما أقدرهم الله عليه وحقيقة الملائكة خارجة عن هذه القدرة البشرية فلا يستطيع البشر رؤية الملائكة.

روت عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ{يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى أريد رسول الله ﷺ }(١)

---

(١) رواه البخاري (الفتح ٦/ ٣٠٥) برقم (٣٢١٧)

الملائكة قادرون على التشكل بأشكال البشر

هذا الأمر ليس مستحيلا والله جل وعلا قادر على كل شيء وهو الذي وهبهم هذه الخاصية، قال الله في حق مريم وجبريل ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[مريم، الآيات: ١٦-١٩] والروح هنا جبريل عليه السلام.

صفات جبريل عليه السلام

وصف الله جبريل بأوصاف عظيمة قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[التكوير، الآيات: ١٩-٢٠] فوصفه في هذه الآية بعدة صفات:

الأولى: القوة ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾

الثانية: المكانة ﴿ مكين﴾ أي ذو مكانة عند الله لا يصل احد غيره.

الثالث: الطاعة ﴿ مطاع ﴾ أي تطيعه الملائكة بامر الله تعالى

الرابع: الأمانـة ﴿ امين﴾ أي على الوحي لا يزيد في القول أو ينقص فيه وإنما يبلغه كما أوحاه الله إليه.

رؤية محمد ﷺ لجبريل

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾[التكوير ٢٣] أي رأى محمد جبريل وذلك في موقفين:

الأول : في بطحاء مكة رفع رأسه فرآه في عنان السماء له ستمائة جناح كل جناح منها سد الأفق [1] .

الثاني : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[النجم، الآيتان:١٣-١٤] ليلة المعراج رآه على خلقته التي خلقه الله عليها في السماوات.

أوجه الاختلاف بين عمل الملائكة وعمل الشياطين

أولا : الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويتفقدون لمن في الأرض ويدلونهم على الخير فهم أنصح الخلق لبني آدم عكس الشياطين أغش الخلق لبني آدم فهم سبب ضلالهم وإغوائهم وبعدهم عن الله قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف ٢٧] .

ثانيا : الملائكة تأمر العباد بالخير والشياطين يحثونهم على الشر ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[الزخرف٣٦].

ثالثا : ذكر الله يطرد الشياطين ويقرب الملائكة فكل مجلس ذكر فالملائكة تحفه وتغشاه والشياطين أبعد الخلق عنه.

رابعا: الملائكة لا تدخل البيوت التي فيها لهو أو تصاوير أما الشياطين فتعشعش فيها.

(١) رواه البخاري انظره في الفتح (٨/ ٦١١)

أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان

الإيمان بالملائكة له أثر عظيم في حياة الإنسان فإذا شعر الإنسان بمراقبة الملائكة له وتقييدهم أعماله فإنه يتحفظ لئلا يسجل في صحيفته أعمال يندم عليها يوم القيامة.

فثمرة الإيمان بالملائكة أن الإنسان يحصن نفسه من الأقوال والأعمال السيئة التي تسجل عليه لاسيما أنه لا يرى الذين يكتبونها وهذا دافع قوي في عدم الوقوع فيما حرم الله تعالى.

قال شارح الطحاوية:

«وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة ووكل بالسحب والمطر ملائكة ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته ووكل بالموت ملائكة ووكل بالسؤال في القبر ملائكة ووكل بالأفلاق ملائكة يحركونها ووكل بالشمس والقمر ملائكة ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلآتها ملائكة فالملائكة أعظم جنود الله ومنهم المرسلات عرفا والناشرات نشرا والفارقات فرقا والملقيات ذكرا ومنهم النازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا ومنهم الصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا.

ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وملائكة قد وكلوا بحمل العرش وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى»[1].

(١) الطحاوية (٢/ ٤-٥)

المبحث السابع

الإيمان بالكتب المنزلة

- القرآن آخر الكتب المنزلة وناسخها
- هل يكفي في القرآن مجرد التصديق؟
- كيفية الإيمان بالكتب المنزلة
- ذكر بعض الأمور المتعلقة بالإيمان بالكتب

المبحث السابع

الإيمان بالكتب المنزلة

هي الكتب التي أنزلها الله على رسله وحيا عن طريق جبريل عليه السلام متضمنة أوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكام دينه وهي كثيرة نزلت في أماكن متعددة وبلغات مختلفة يقول الله جل وعلا ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[إبراهيم ٤]

وقد حوت هذه الكتب شرائع الأمم التي توافق أحوالهم وأزمنتهم قال تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة٤٨] غير أن جميع هذه الكتب جاءت لإثبات توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل٣٦] وقال ﷺ {الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد} (١)

وأهـل السـنة يقـررون وجـوب الإيمان بجميع الكتب السماوية التي أنزلت على الرسـل سـواء مـا ذكر في القرآن أو لم يذكر وأنها كلام الله سبحانه باعتبار ذلك ركنا من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به وقد استدلوا على ذلك بما يأتي:

(١) رواه مسلم ح (٢٣٦٥)

قال تعالى ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة١٣٦].

وقال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[البقرة٢٨٥].

ومـن السـنة حـديث جبريل حينما جاء يعلم الناس أمر دينهم فسأل عن الإيمان فقـال الإيمـان أن تـؤمن بـالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره}[1].

(١) رواه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨)

القرآن آخر الكتب المنزلة وناسخها

القرآن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام والمدون بالمصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس وقد تكفل الله بحفظه فلا تمتد له الأيدي بالتحريف أو التبديل لأن الله أراد له الخلود والبقاء باعتباره آخر الكتب الذي أنزل على آخر الرسل محمد ﷺ قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[الحجر٩].

وقد حقق الله وعده بحفظ كتابه فها نحن اليوم وقد مضى على نزول القرآن أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان وهو بين أيدينا محروس من الزيادة والنقصان رغم كيد الكائدين وحرص الشياطين على العبث به وإطفاء نوره وصدق الله العظيم ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[التوبة٣٢].

والقرآن هو الكتاب الناسخ لما قبله من الكتب السماوية التي نزلت على سائر الأنبياء والمرسلين قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة٤٨].

ولهذا لا يسوغ لكائن من كان أن يخرج عن شرع محمد ﷺ بل لا بد من العمل بشريعته واتباع أمره ونبذ كل شيء يخالف ذلك. وقد جاءت أوصاف القرآن كثيرة ومنها:

(١) أنه معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة قال تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء٨٨].

(٢) أنه حق محض ليس للباطل إليه سبيل قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت، الآيتان:٤١-٤٢].

(٣) أنه مشتمل على الآيات البينات والدلائل القاطعة على جميع قضايا العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل٨٩].

قال شارح الطحاوية: «وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور ونؤمن بأن لله سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله»[1].

وقال: «وأما الإيمان بالقرآن فالإقرار به واتباع ما فيه وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء ...»[2]

---

(١) شرح الطحاوية:(٢/ ٤٢٤-٤٢٥)

(٢) المرجع السابق

هل يكفي في القرآن مجرد التصديق؟

أما مجرد التصديق فلا يكفي في القرآن فلا بد مع التصديق من الأخذ به والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه قال تعالى ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف، الآيات:١-٣].

فالقـرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يصلنا إلى الله بعد بعثة الرسول ﷺ، قـال ﷺ {أبشـروا فـإن هـذا القرآن بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا}(١)

فالقرآن هو العصمة بعد الله تعالى من الضلال والهلاك لمن تمسك به.

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦)

كيفية الإيمان بالكتب المنزلة

للإيمان بالكتب المنزلة أمور لا بد من توفرها فيمن آمن به، من هذه الأمور:

(١) يجب الإيمان بأن هذه الرسالات أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله والتصديق بأن هؤلاء الرسل بلغوها للناس على الوجه الأكمل، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[الأحزاب ٣٩].

(٢) يجب الإيمان بالكتب كلها فمن آمن ببعضها وكفر ببعضها فقد كفر بكلها فلا يقبل الله منه إيمانا إلا إذا آمن بجميع الكتب، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[النساء ١٥٠].

فالكفر بالرسول هو في الحقيقة كفر بما أنزله الله إليه وقال تعالى ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة ١٣٦]

وقال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[الشورى١٥].

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾[النساء ١٣٦].

فما أعلمنا الله به تفصيلا فالكتب التي ذكرها وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والقرآن المنزل على محمد ﷺ فهذا نؤمن به تفصيلا كما أخبر الله تعالى.

ونؤمن بأن هناك كتبا ووحيا غير ذلك ولم يعلمنا الله سبحانه بها.

(٣) ويجب الإيمان بما جاء في الكتب السماوية السابقة وأن الانقياد لها والحكم بها كان واجبا على الأمم التي نزلت إليها الكتب.

(٤) ويجب الإيمان بأن هذه الكتب يصدق بعضها بعضا فالإنجيل مصدق للتوراة كما قال تعالى ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[آل عمران ٥٠].

(٥) ونؤمن أن من أنكر شيئا مما أنزله فهو كافر قال تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء ١٣٦].

(٦) وللإيمان بهذه الكتب يجب الإيمان بأن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولا وأنه هو المهيمن على الكتب السابقة، قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة ٤٨].

ذكر بعض الأمور المتعلقة بالإيمان بالكتب

أولا: مصدرها والغاية من إنزالها.

الكتب السماوية مصدرها واحد كما قال تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾[آل عمران، الآيات:١-٤].

أما هدف هذه الكتب وغايتها فقد أنزلها الله تعالى لتكون حياة للبشر الذين يعيشون على هذه الأرض وذلك بأن تقودهم إلى ما فيها من تعاليم وتوجيهات وهداية، أنزلت لتكون روحا ونورا تحيي نفوسهم وتنيرها وتكشف ظلماتها وظلمات الحياة.

ثانيا: الرسالة العامة والرسالة الخاصة.

الرسالات السماوية السابقة أنزلها الله تعالى لأقوام بأعينهم، أما الرسالة الخاتمة رسالة محمد ﷺ فهي عامة للبشرية كلها قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[الأعراف ١٥٨].

وقال ﷺ {.... وكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة }[1].

ولما كانت رسالة محمد ﷺ هي الرسالة العامة للبشرية كان ولا بد أن تمتاز عن الرسالات السابقة، ولهذا جعلها الله تعالى شريعة كاملة صالحة لجميع البشر في كل مكان وزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٢ .

ولهذا نجد أن عيسى -عليه الصلاة والسلام- حينما ينزل إلى الأرض في آخر الزمان فإنه لا يحكم إلا بهذه الشريعة ولا يقبل غيرها.

ثالثا: حفظ الرسالات.

كانت الرسالات السابقة مرهونة بوقت وزمان فإنها لا تخلد ولا تبقى ولم يتكفل الله بحفظها وقد وكل الله حفظها إلى علماء تلك الأمة التي أنزلت إليها، فالتوراة وكل حفظها إلى الربانيين والأحبار قال تعالى ﴿ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾[المائدة ٤٤].

ولم يطق الربانيون والأحبار حفظ كتابهم وخان بعضهم الأمانة فغيروا وبدلوا وحرفوا قال تعالى ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ .. ﴾[النساء ٤٦] فالتوراة حصل بها من التحريف ما حصل وبدلوا فيها من التبديل ما لا يخفى على ذي بصيرة بأمرهم والنصارى حرفوا في الإنجيل وبدلوا فيه.

أما هذه الرسالة الخاتمة أعني رسالة محمد ﷺ فقد تكفل الله بحفظها ولم يكل بحفظها إلى البشر قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر ٩].

فالذي ينظر إلى هذا العالم شرقه وغربه يرى العدد الهائل الذي يحفظ القرآن عن ظهر قلب بحيث لو شاء ملحد يهودي أو نصراني تغيير حرف منه فإن صبيا صغيرا يستطيع الرد عليه وبيان خطئه وافترائه.

رابعا: مواضع الاتفاق والاختلاف في الرسالات.

جاءت جميع الرسالات متفقة في أن الدين واحد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران١٩].

الإسلام هو اسم الدين المشترك الذي هتف به الأنبياء من نوح إلى محمد ﷺ فقد قال نوح –عليه الصلاة والسلام- ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[يونس٧٢] وقال إبراهيم –عليه الصلاة والسلام- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة١٣١].

ويوصي كل من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلا ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[البقرة١٣٢].

وموسى يقول لقومه ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[يونس٨٤].

الحواريون يقولون لعيسى –عليه الصلاة والسلام-: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران٥٢].

فالإسلام هو شعار دعوة الرسل في كتبهم المنزلة من عند الله تعالى وهكذا اتفقت جميع الرسالات فكان الدين الواحد الذي دعت إليه جميع الكتب هو دين الإسلام.

أما الشرائع فهي مختلفة قال تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة٤٨].

والشرعة هي الشريعة والسنة والمنهاج هو الطريق والسبيل. وليس معنى ذلك أن الشرائع تختلف اختلافا كليا. فالناظر في الشرائع يجد أنها متفقة في المسائل الأساسية كالصلاة والزكاة والحج وأخذ الطعام من حله وغير ذلك، لكن الاختلاف فيها يكون في بعض التفاصيل فأعداد الصلوات وشروطها وأركانها ومقادير الزكاة ومواضع النسك وكذا الصوم فقد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يحل الله أمرا في شريعة لحكمة ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة.

نماذج أسئلة

نماذج

أسئلة على منهج المستوى الثاني

أسئلة مبحث الرؤية

(١) من هم الذين يثبتون رؤية المؤمنين لربهم في الجنة؟

(٢) اذكر نفاة الرؤية!

(٣) مما استدل به نفاة الرؤية قوله تعالى (لن تراني) وجه ذلك وكيف ترد عليه؟

(٤) مما استدل به نفاة الرؤية قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) وضح ذلك مع الرد عليه!

(٥) اذكر ثلاثة أدلة من القرآن على إمكانية رؤية المؤمنين لربهم في الجنة!

(٦) وجه الاستدلال بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) !

(٧) اذكر دليلين من السنة على إمكانية الرؤية مع بيان الشاهد وتوجيه الاستشهاد!

(٨) قال الطحاوي رحمه الله: «والرؤية حق لأهل الجنة» وضح ذلك!

(٩) هل يرى الناس ربهم في المحشر؟ اذكر كلام أهل العلم في ذلك!

(١٠) هل تمكن رؤية الله في الدنيا مع التعليل؟

(١١) هل رأى رسولنا ﷺ ربه بعينه في الإسراء مع الترجيح وتوجيه ذلك؟

أسئلة
مبحث القضاء و القدر

(١) عرف القضاء والقدر لغة واصطلاحا!

(٢) استدل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر بدليلين من القرآن !

(٣) اذكر دليلا من السنة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر !

(٤) وضح الاستدلال من العقل على الإيمان بالقدر !

(٥) بين مرتبة الإيمان بالقدر من الدين !

(٦) اذكر شيئا من فوائد الإيمان بالقدر !

(٧) اذكر الطوائف التي ضلت في القدر !

(٨) وفق الله أهل السنة فكانوا وسطا في باب القدر وضح ذلك !

(٩) رد أهل السنة على الفرق التي ضلت في القدر بالكتاب والسنة والعقل أوجز ذلك !

(١٠) هل يلزم من الإيمان بالقدر أن يكون في فعل الله شر ؟ وضح ذلك !

(١١) وضح المقولة «يحب ما لا يريد ويريد ما لا يحبه» !

(١٢) هل العباد فاعلون ؟ وجه ذلك !

(١٣) هل للعباد مشيئة مع الاستدلال ؟

(١٤) هل العباد مخلوقون هم وأفعالهم مع توضيح ذلك ؟

(١٥) هل يوجه الخطاب إلى الجماد مع الاستدلال والتوجيه؟

(١٦) قال صاحب الطحاوية «ولذا كان أنفع الدعاء دعاء الفاتحة» وجه ذلك!

(١٧) كيف تجمع بين قوله تعالى (من عند الله) وقوله (فمن نفسك)؟

(١٨) هل الإنسان مسير أم مخير مع التوجيه؟

(١٩) اذكر أقسام التقدير !

(٢٠) وضح مراتب القدر!

(٢١) من مراتب القدر العلم استدل لها !

(٢٢) استدل على مرتبة الكتابة من مراتب القدر !

(٢٣) المشيئة إحدى مراتب القدر ما دليلها؟

(٢٤) الخلق والإيجاد المرتبة الرابعة من مراتب القدر فما دليلها؟

(٢٥) توسط أهل السنة والجماعة في الاستطاعة للعبد فما هو رأيهم وما الدليل على ذلك ؟

(٢٦) توسط أهل السنة والجماعة في أفعال العباد الاختيارية بين الجبرية والقدرية وضح ذلك !

(٢٧) تضمن القدر أصولا عظيمة اذكر اثنين منها !

أسئلة مبحث
القرآن كلام الله

(١) افترق الناس في كلام الله على أقوال، اذكر ثلاثة منها مع بيان الراجح منها!

(٢) استدل على كلام الله من القرآن الكريم!

(٣) أوجز رأي المعتزلة في ثلاثة أسطر حول كلام الله!

(٤) كيف ترد على المعتزلة في مقالتهم في كلام الله؟

(٥) قال المعتزلة :«يلزم من كلام الله التشبيه والتجسيم» ناقش هذه المقولة!

(٦) هل صفة الكلام لله صفة ذات أو صفة فعل وضح ذلك!

(٧) القرآن كلام الله غير مخلوق اشرح هذه العبارة بما لا يزيد عن خمسة أسطر!

(٨) وصف الله كتابه بصفات اذكري ثلاثا منها!

(٩) تكلم عن فتنة القول بخلق القرآن بما لا يزيد عن خمسة أسطر!

(١٠) ثبت الإمام أحمد في فتنة القول بخلق القرآن وضح ذلك !

(١١) ما حكم من قال بخلق القرآن؟

(١٢) استدل على إثبات النداء لله تعالى من القرآن الكريم!

فهرس الموضوعات

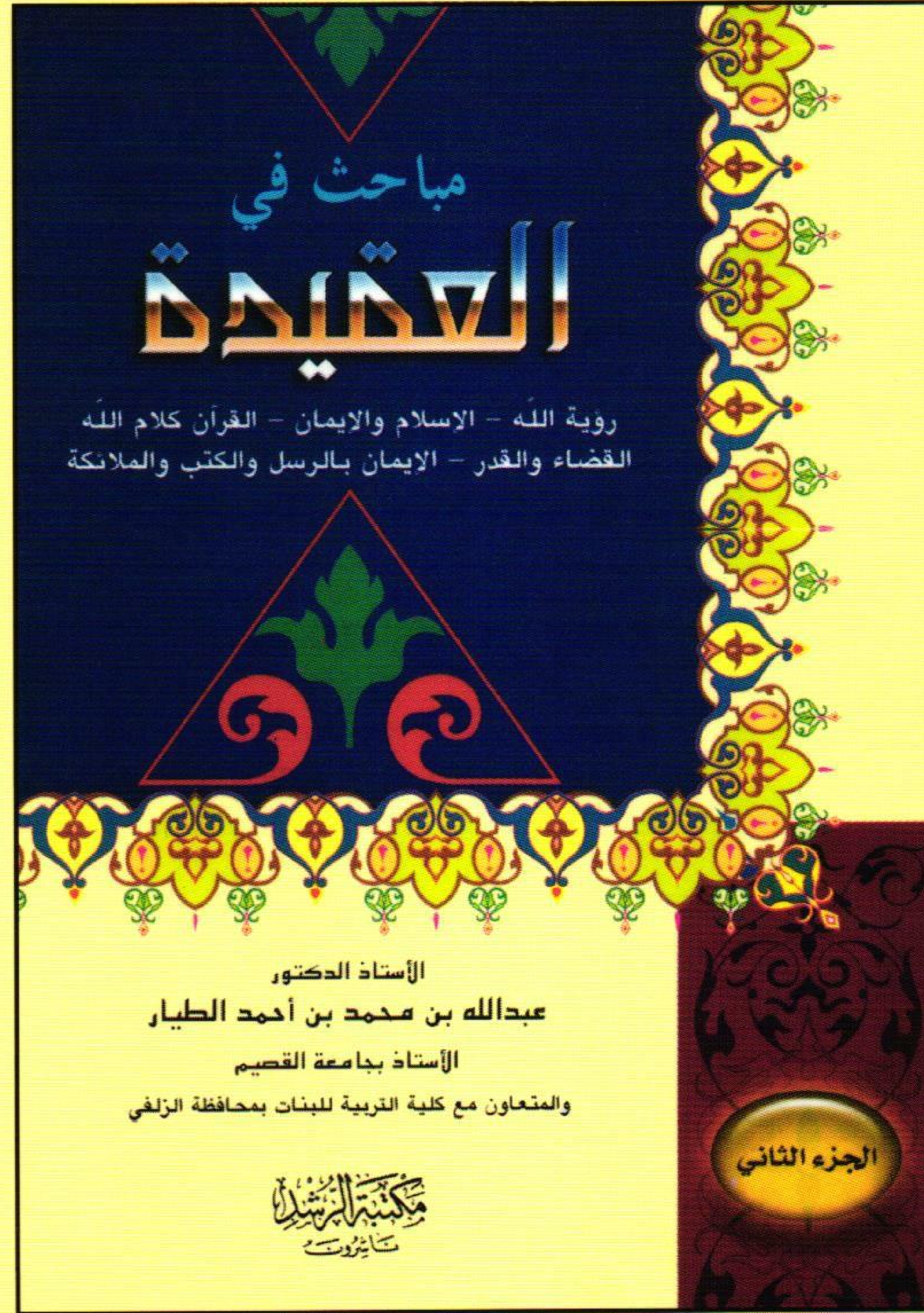
فهرس الموضوعات

المبحث الثاني : الإسلام والإيمان

المبحث الثالث: القرآن كلام الله

المبحث الخامس : الإيمان بالرسل

المبحث السادس : الإيمان بالملائكة





مكتبة الرشد

ألوان للطباعة
ALWAN PRINTING

